

القسم الثاني (٣)

ميلاد فرقة Birth of a Sect

دعوى التطور الروحي للنبي والظن في طريقة الوحي :

يبدأ رودينسون كلامه عن محمد صلى الله عليه وسلم في الباب الثاني من كتابه ، بما يسميه التطور الروحي لمحمد Muhammad's spiritual development والذي أصبح الآن خاضعاً لعوامل خارجية كثيرة في زعمه ، كما سيتضح من كلامه في ما يلي .

يشير الكاتب إلى غار حراء الذي كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يذهب إليه يتعبد فيه الليالي ذوات العدد من شهر رمضان من كل عام ، حتى جاءه جبريل بالقرآن عن الله تعالى كما هو معروف ، مدعيًا شأنه شأن كثير من المستشرقين ، أن دخوله صلى الله عليه وسلم الغار كان بفرض الاستزواج والتفكير والتأمل في الملكوت ، وهروبًا من جو مكة الحارق والصاحب . وأن تحنشه في الغار على هذا النحو كان مجرد عادة انتقلت إليه إما بطريقة مباشرة عن اليهود والنصارى ، أو غير مباشرة عن طريق الخنفاء الذين أخذوها بدورهم عنهم .

ويستشهد رودينسون على طبيعة الوحي الذي كان يأتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث السيدة عائشة بشأن ابتداء الوحي . والذي جاء فيه «أول ما ابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكان يأتي جبل حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الحق فيه فقال : اقرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : ما أنا بقارئ . قال : فأخذني ، فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ . فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال (اقرأ باسم ربك الذي خلق) حتى بلغ (ما لم يعلم) ، قال : فرجع بها

ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: (زملوني زملوني) فزملوه حتى ذهب عنه الروح، فقال: يا خديجة مالي فأخبرها الخبر. فقال قد خشيت على نفسي: فقالت له: كلا، أبشر، فوالله لا ينزلك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق.....» الحديث (١). ويربط الكاتب بين هذا النوع من الوحي وبين ما كان يأتي للراهبة تريسا، وأيضاً لبولس (ص ٧٠) وهو بهذا يضع الراهبة تريسا وبولس في نفس المكانة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما أبعد الفرق بين الاثنين وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولكن الكاتب على أي حال قد حدد لنفسه الطريق الذي سيسير عليه والطريقة التي سينتهجها في الكتابة عن محمد صلى الله عليه وسلم. إنه يصر على أن يجعل محمداً صلى الله عليه وسلم من أهل التأملات الباطنية والخبرات الروحية الخاصة بحيث لا يبدو بينه وبين مثل هؤلاء الباطنيين أي فرق.

يقول الكاتب: «إن محمداً قد رأى فيما بعد كائناً ينادي عليه ويلقنه بعض الكلمات، إلا أنه لم يعرفه في البداية لكنه بعد ذلك استطاع أن يحدهه بمجرى، وإن كانت هناك رواية تقول أنه كان إسرافيل، وعلى أي حال فإن ما رآه محمد واعتقد أنه ملكاً قوياً أرسله الله إليه ربما كان انبعاثاً من داخل نفسه هو، وذلك على مثال تلك الكائنات الغامضة التي أشار إليها النصاري، يعني الروح، والكلمة أو النفخة الإلهية».

ويقول أيضاً: «إن الليلة التي رأى فيها محمد جبريل عليه السلام في الغار وسمع منه لأول مرة قول الله تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ...» كانت ليلة السادس أو السابع والعشرين من شهر رمضان. تلك الليلة التي اعتبرت فيما بعد ليلة القدر أو التقدير، التي ينزل فيها الله، والتي جعلها المسلمون مناسبة دينية عظيمة يحتفلون بها كل عام». (ص ٧٣).

محمد ودعوى الخيرة الباطنية:

من الملاحظ أن مكسيم رودينسون لا يكف عن ترديد الزعم بأن محمداً كان واحداً من أهل الخيرة الباطنية والتخيل النفساني مثله مثل سائر الكهان. يقول في

(١) صفة الصفوة، ج ١ ص ٢٧.

تأكيد زعمه هذا: «لقد كان محمد يصرع ويصاب بتشنج عنيف يجعله يغيب عن الواقع بحيث يرى ويسمع أشياء لا يشعر بها الحاضرون معه ، وبعد عودة الوعي إليه كان يقول أنه رأى الملك ، وأن كلامًا أوحى به إليه ، هذا الكلام كان يصدر من داخل نفسه ، لا من مصدر خارجي عنه ، ولقد استطاع محمد فيما بعد أن يجمع هذا الكلام ويصوغه في عبارات ادعى أنها القرآن الذي جاءه من عند الله» (ص ٧٥). ودعوى أن محمدًا كان مصابًا بداء الصرع دعوى قديمة تحمل كبرها أجيال من المستشرقين والحنافيين على النبي صلى الله عليه وسلم، وترجع هذه الأسطورة في الأصل إلى الكتاب البيزنطيين والتي يرفضها المستشرقون في العصر الحديث والتي يعتبرها الفرد جلوم خطيئة وتحييز ضد المسلمين يقول في كتابه *إسلام*

A past generation of arabists, on the bases of this tradition (The opening of the prophets breast referred to in the Quran) and accounts of the symptoms of physical distress which sometimes accompanied his utterances, advanced the theory that Muhammad was an epileptic. The Charge had been made by a Byzantine writer long before, such a hypothesis seems gratuitous, and can safely be ascribed to anti-Muhammadan prejudice. Study of the psychological phenomena of religious experience makes it extremely improbable. Prophets are not normal people but that doesn't authorize the assertion that their abnormal behavior is due to a morbid condition. Moreover, Muhammad was a man who's common sense never failed him. Those who deny his mental and psychic stability do so only by ignoring the overwhelming of his shrewd appraisal of others and of the significance of what was going on in the world of his time, and his persistence in the face of consistent opposition until he united his people in the religion of Islam. Had he ever collapsed in the strain of battle or controversy, or fainted away when strong action was called for, a case might be made out. But all the evidence we have points in the opposite direction, and the suggestion of epilepsy is as ground less in the eyes of the present writer as it is offensive to all Muslims. It may be

added that most modern writers, as opposed to those of the last generation, are of this opinion. To base such a theory on a legend witch on the face of it has no historical foundation is a sin against historical criticism.^(١)

إن رودينسون يفسر كل ما كان يعتري النبي صلى الله عليه وسلم من عوارض الوحي وما كان يتبعها من رد فعل على أنها (عوارض كهانة لا أمارات نبوة) (ص ٧٧).

(١) Alfred Guillaume, *Islam*, (Great Britain, Pelican books. 1976) pp.25f.

ولا يمل الكاتب من تكرار دعوى تأثر محمد باليهودية والنصرانية إذ نراه يقول :
«إن الكائن الذي كان يراه محمد ، وأن الكلام الذي كان يسمعه ، أو يتهياه ، وإنما
كان صدى لما سمعه محمد من اليهود والنصارى وتأثر به» . وهو يعني أن الرسول
صلى الله عليه وسلم كان قد اختزن هذه المعلومات ، التي سمعها من اليهود
والنصارى ، في عقله الباطن ثم أنضحها بجمرة حماسه وبأملاته الباطنية وخبراته
الروحية شأنه في ذلك شأن الكهان والروحيين . حتى أخرجها فيما بعد في هذا
الشكل الأدبي المعروف الذي سماه «القرآن» . ثم يتناول رودينسون نية أو قصد رسول
الله صلى الله عليه وسلم من وراء دعوته فيشكك فيها ، وهذا الموضوع سبق أن تناوله
مونتجمري وات بشيء يسير من الإنصاف في محاولة منه لتخفيف حدة المنصرين في
طعنهم في عمل محمد وقصده معاً .

فقال إن محمداً كان مخلصاً ولكن إخلاصه لا يعني أنه كان مصيباً فيما يقول كما
ذكرناه بالتفصيل عند الكلام عن وات . يقول مكسيم رودينسون أن النصارى
والمدافعين عن النصرانية ، واللاهوتيين تحديداً الذين صوروا محمداً على أنه كان دجالاً
كذاباً وصاحب حيل ، استطاع من خلالها أن يؤثر على معاصريه ويخدعهم ، وأن
دعوته بالتالي زائفة ، لم يهاجموا محمداً وحده وإنما هاجموا أيضاً كل مؤسسي الديانات
في العالم أجمع (ص ٧٦) . ولكنه من الملاحظ أن المنصرين والمستشرقين يكونون أكثر
حدة وأقل حيدة عندما يتناولون محمداً صلى الله عليه وسلم ودينه بالكلام . وينقل
رودينسون عن المستشرق الألماني هيربرت جريم زعمه أن محمداً عندما أراد أن يناصر
الفقراء ويحسن أحوالهم فرض الضرائب الباهظة على الأغنياء ولكنه لم يستطع تحصيلها
منهم لأنه لم يكن يملك القوة التي يحقق بها ذلك ، لذا فإنه قد لجأ إلى تخويفهم عن
طريق اختراع مجموعة من الأساطير أو الأفكار الأسطورية كالتخويف من يوم
الحساب ، ومن النار والعذاب الأليم الذي ينتظر البخلاء والأشحاء إذا لم يذكروا
أنفسهم ويظهروا قلوبهم بديع الزكاة . إن الكاتب يُعَرِّضُ هنا شخصية النبي محمد
صلى الله عليه وسلم مرة أخرى لتجارب وتحليلات علم النفس الغربي المادي فيقول :
«إن علم النفس قد قرر أن بعض الناس تصدر عنهم أفعال غريبة وتتهيا لهم رؤى
خاصة ، ويتخيلون أصواتاً يسمعونها وكلمات يلتقطونها ، صادرة من منطقة اللاوعي
أو العقل الباطن . حتى هؤلاء المصابين بداء الهلوسة ، يمكن أيضاً أن نحمل أقوالهم على
الصدق أعني صدق النية فيما يشعرون به» . ومحمد في نظر الكاتب من هذا الصنف من

الناس ، يعني أنه كان مخلصاً في التعبير عما يحس به ، ولكن كونه كان مخلصاً ليس معناه أن ما جاء به هو الحق ، وأنه كلام الله كما أشرنا إليه من قبل . إن محمداً عنده مجرد صوفي ، فهو يضعه في نفس السياق مع صوفية النصارى ، القائلين بالاتحاد مع الله من خلال أعمال روحية معينة ، ومع صوفية الهنود القائلين بأن ما يحدث للصوفية إنما هو «خبرة فوق الوصف» خبرة مطلقة وغير شخصية ، وهي تمثل قاعدة الحقيقة الكاملة ، والتي يكتسبها صاحبها من خلال معرفة النفس . يقول جاردت: «إن هذه الخبرة ليست سوى الغموض والثراء اللامتناهي لكائن أو لمخلوق ما» (ص ٨٠)، يشير الكاتب بعد ذلك إلى المتصوفة الحلوليين كالحسين بن منصور الحلاج (٢٤٤-٣٠٩ هـ) (٨٥٨-٩٢٢م) الذي قال :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا ... نحن روحان حللنا بدنا (١)

وهكذا يسوي هذا الكاتب بين البشر الخطائين ، والأنبياء المعصومين ، وسيدهم محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن الواضح أنه يعتمد على مزاعم علماء النفس الملحدون في وصف شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وهؤلاء النفسانيون الغربيون يسوون بين أهل السلوك الباطني أو المتصوفة والمرضى النفسيين بشكل عام ، وقد عدوا محمداً عليه الصلاة والسلام منهم ، مع فرق واحد وهو أن الباطني يكون قادراً على التحكم في نفسه وعلى ضبط خبراته وتوجيهها لصالح تحقيق فلسفته الخاصة في الحياة ، وأيضاً فإنه تتوفر لدى هؤلاء الباطنيين القدرة على بناء نسق فكري منظم لخبراتهم ، ومحمد - كما يزعم الكاتب - بالرغم من نقاط ضعفه ، فإنه من وجهة النظر الصوفية أو السلوكية الباطنية ، يعد من هذا الصنف لأنه مثل الصوفية العظام قد جاهد كثيراً من أجل ضبط نفسه وإخضاعها، وإن هذا المسلك الصوفي أو الباطني قد اكتسبه محمد كنتيجة لاحتكاكه برهبان النصارى (ص ٨١). ولسنا ندري كيف توصل محمد صلى الله عليه وسلم إلى هذا كله، ومن هم يا ترى هؤلاء الرهبان الذين عاصروهم واحتك بهم وتعلم منهم واقتفى أثرهم . إن مكسيم رودينسون لم يقدم أدلة على دعواه وإنما طرَّظنونيّات وطبوبيات أراد من خلالها أن مجرد الرسول صلى الله عليه وسلم من الوحي والعصمة والأصالة ومن حسن القصد.

يسعى نفس الكاتب كثيراً إذ يزعم دون علم أو حس لغوي يمكنه من فهم لغة

(١) انظر ديوان الحلاج (القاهرة. مكتبة الكليات الأزهرية) ص ٤٧ - ٤٨ .

العرب ، أن الآيات والكلمات الأولى التي عزاها محمد إلى ربه ، جاءت ككلام الكهان مسحوعة ، ولقد كان تصرف محمد أثناء وبعد تلقي ما سماه وحيا يشبه أيضاً تصرف الكهان وسلوكهم ، فقد كان محمد ترتجف أعضاؤه ، ويتحدر عرقه ، وتتحرك شفثاه بعصبية ، وكان إذا ذهب عنه الروع من أثر التلقي طلب دثاراً يتدثر به ، تماماً كما كان يفعل الكهان والعرفاء في الجزيرة العربية ، ولسنا ندري أيضاً كيف توصل الكاتب إلى تلك المعلومات الخطيرة في وصف الكهان والعرفاء ، والاطلاع على أدق تفاصيل حياتهم وأعمالهم ؟ وما هي يا ترى تلك المماثلة أو المشابهة بين ما كان يصدر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والذي استأثر بالقلوب والعقول ، وبنيت على أساسه شريعة كاملة ، وأمة عظيمة ، وبين ما كان يصدر عن الكهان من كلمات لا معنى لها؛ تطير مع الهواء كالخفافيش ، لا تنفع ولا تدفع .

يزعم رودينسون أيضاً أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان رجلاً ثورياً شأنه في ذلك شأن سائر الباطنيين ، وذلك لأنه وقف ضد معتقدات قومه بجرأة وبقوة ولم يهادنهم في شيء ، وذلك لقوة شخصيته ومثانة إيمانه بمجده . إن الكاتب الحائر يخلط هنا بين صفات العمالقة وصفات الأقرام ، فيخلع جهلاً على العملاق بعض صفات القزم وأهل الطبقة الدون من الناس ، ويخلع على القزم القدم ، لصيق التراب صفات العملاق العظيم التي هو منها براء وليس لها بأهل .

مزاعم رودينسون حول القرآن :

بعد أن أثبت رودينسون بطريقته غير العلمية أن شخصية محمد هي نفس شخصية الكاهن، وأن سلوكه صلى الله عليه وسلم هو سلوكه ، انتقل بالهجوم إلى القرآن الكريم فزعم أنه من كلام محمد صلى الله عليه وسلم ، كما تكررت الإشارة إليه فيما سبق ، وزعم كذلك أن القرآن الكريم لم يكتب في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . هذا بالرغم من كثرة الروايات التي تؤكد كلها أن القرآن كان مكتوباً في عهده صلى الله عليه وسلم على ما تسنى من الرقاع والعسف والجريد والزرر وأوراق البردي والآباطي وغيرها، وذلك إلي جانب صدور الرجال والنساء والأطفال الذين كانوا يحفظونه، كله أو بعضه، بدرجات متفاوتة. وسجلوه من ثم في الفؤاد كما سجلوه بالمداد ثم جمع القرآن في عهد أبي بكر في الربعة وذلك بعد مرور عام واحد من وفاة

النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم جمع القرآن في مصحف واحد على عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، بمشورة واتفاق جميع الصحابة رضوان الله عليهم . وهذا المصحف هو الذي يتداوله المسلمون إلى اليوم يقول نللكه أن قبول الكافة لهذا المصحف: «بعد أقوى دليلاً على أن النص القرآني على أحسن صورة من الكمال والمطابقة» وهذا المصحف هو الوحيد المتداول بين المسلمين في شتى بلدان العالم الإسلامي بما فيها فرق الشيعة ، بل والفرق التي خرجت عن الإسلام مثل القاديانية والبهائية ، وذلك منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان ، وبناء على ذلك يقول لوبلو بحق «إن القرآن اليوم هو الكتاب الرباني الوحيد الذي ليس فيه أي تغيير يذكر» ويقول موير «إن المصحف الذي جمعه عثمان قد تواتر انتقاله من يد إلى يد بدون أي تحريف ، ولقد حفظ بعناية شديدة بحيث لم يطرأ أي تغيير يذكر بل نستطيع القول بأنه لم يطرأ عليه أي تغيير على الإطلاق في النسخ التي لا حصر لها ، والمتداولة في البلاد الإسلامية الواسعة... فلم يوجد إلا قرآن واحد لجميع الفرق الإسلامية المتنازعة، وهذا الاستعمال الإجماعي لنفس النص المقبول من الجميع حتى اليوم يعد أكبر حجة ودليل على صحة النص المنزل الموجود معنا»^(١) .

يزعم الكاتب كذلك أن عثمان قد أمر بحرق باقي النسخ وإلزام جميع المسلمين بمصحفه وهذا خطأ كما أوضحناه بالدليل عند كلامنا عن جمع القرآن . يقول رودينسون : «وإنه بالرغم من وجود بعض الاختلافات في النص القرآني ، وعدم مراعاة ترتيب السور والآيات بحسب نزولها فإن المستشرقين قد سدوا هذا العجز فرتبوا المصحف بحسب النزول وكانوا أمهر من المسلمين في ذلك . ثم ظهرت بعض ترجمات للقرآن على أساس هذا الترتيب الاستشراقي - يعني ترتيب فلوجل - وعلى سبيل المثال تعتبر أحسن ترجمة فرنسية للقرآن بحق هي ترجمة بلاشير الفرنسية ، وترجمة ريتشارد بيل الإنجليزية» (ص ٨٥ ، ٨٤) ، وينبغي هنا أن ننبه باختصار على أن القرآن كان محفوظاً ومبثوثاً في الآفاق قبل وبعد حكم الخليفة عثمان ، وكانت المصاحف كثيرة ومنتشرة في أيدي الناس ، عامتهم وخاصتهم ، وكانت الكتابيب وحلقات تحفيظ القرآن في البلاد الإسلامية تعد بالآف ، وكان القرآن منذ حياة النبي صلى الله عليه وسلم نص واحد ولكنه كان يقرأ على عدة أوجه كلها منزل ومرخص فيه من الله

(١) انظر محمد عبدالله دراز مختصر مدخل إلى القرآن الكريم : ترجمة محمد عبدالعظيم على . القاهرة ، دار الدعوة

١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، ص ١٠-١٢ .

ورسوله وهذا هو ما يعرف بالقراءات القرآنية أو الأحرف السبعة التي لا تعدو الاختلاف في شكل الكلمة القرآنية غالباً^(١)، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن ترتيب السور وآيات القرآن توقيفي من فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلا كيف أمكن للمسلمين أن يصلوا بآياته وسوره ويشيروا إليه سورة آية تحديداً.

يستعرض رودينسون بعد ذلك بعض الآيات من القرآن مع التعليق عليها، وتدور كل اقتباساته القرآنية تقريباً على أوصاف الجنة والنار متسائلاً «من أين جاء محمد بهذه الصور الجميلة والتفاصيل الدقيقة في وصف العالم الآخر الذي رسمه بالكلمات ، هل جاء به نتيجة لتأثير الهلوسة عليه أو بسبب التياث عقله ؟ والذي كان شيئاً متوقعاً منه بحكم طبيعته وتكوينه، وذلك على منوال ما كان يحدث للشعراء والعرافين العرب، إنه لا يوجد لدينا أي برهان يرحح أيًا من الاحتمالين على الآخر!». ويجزم الكاتب بأن هذه الأوصاف الممتازة للقصور والحياة الترف والنعيم كما ذكرت في القرآن ، لم يعرفها العرب قط، وإنما عرفتها الأمم المتحضرة فحسب» (ص ٨٤-٩١).

لم يستطع الكاتب اليهودي الماركسي أن يقدم لنا تفسيراً مقنعاً لمصدر الوصف القرآني لنعيم الدار الآخرة إذ أنه بدلاً من أن يسلم بأن مرد ذلك كله إلى الله وبأن القرآن هو من كلام الله ولا بد ، يزعم على العكس أن محمداً قد انتحله من اليهود والنصارى، هكذا بلا دليل نقلي أو عقلي.

إن رودينسون يشكك في أصالة القرآن وفي أسلوبه ولغته إذ أنه يرد القرآن من حيث المحتوى إلى اليهودية والنصرانية ، وإلى القصص والحكايات العربية القديمة ، ويزعم بالإضافة إلى ذلك بأن الأسلوب والنظم القرآنيين كانا مسبقين وليسا أصليين، وبالتالي فهما متحلان كذلك من كتب اليهود والنصارى (ص ٩١).

أما الكاتبة الغربية كارن أرم استرونج Karen Armstrong فتختلف في هذا مع رودينسون حيث تقول : « لقد جاء محمد بالقرآن الذي فاق أو تجاوز كل الأنماط الأدبية التي عرفها العرب، حتى إن هؤلاء القرشيين الذين رفضوا الخضوع للإسلام قد تأثروا بالقرآن واضطربوا بسببه وذلك لأنه كما قلنا كان مخالفاً لمعهدهم في اللغة ولأنماطهم الأدبية المعروفة، إنه لم يكن مثل إلهامات كهانهم وشعرانهم، Inspiration of the Kahin or Poets ، ولا هو كرقى أو تصورات السحرة Incantation of magician»

(١) انظر السيوطي ، الإقنان ، ج ١ ص ١٣١ و ١٧٥ .

بل إن القرآن قد ملك على بعضهم عقولهم وقلوبهم، وقد أسلم كثير منهم بسبب تأثرهم بالقرآن، الذي لولاه لما كان الإسلام نفسه». ثم تقول نفس الكاتبة: «إنه بفضل القرآن قد استطاع محمد أن يحول العرب من الوثنية إلى التوحيد في مدى ثلاث وعشرين سنة هذا بينما أخذ الإسرائيليون القدامى حوالي السبعمئة سنة ليتخلصوا من محض الولاء للوثنية إلى الولاء لديانة التوحيد». (١)

وفي نفس القرينة يقول حول ديفيد في مقال له بعنوان توافقات واختلافات بين القصص الديني في التوراة والقرآن ، في المقارنة بين القصص الواردة في القرآن والواردة في التوراة « إن الجوهر فيها كلها واحد والاختلاف - بينها - ليس إلا في الشكل ، وفي تفاصيل طفيفة للغاية» (٢).

ويقول رودينسون إن المسلمين يعتقدون في كمال القرآن ، وإعجازه في نظمه ومعانيه، وأنه لا يمكن لبشر أن يحاكيه أو حتى يذانيه ، ولكنه يرفض هذا قائلاً «إنه في العصور الوسطى قد أبدى بعض المسلمين الأحرار استعدادهم لمحاكاته ، حتى أن واحداً منهم قال متعجباً! كيف يمكن للإنسان أن يفهم القرآن أو ينتقده ويعمن في فحصه لاكتشاف ما فيه من أخطاء ، في الوقت الذي تربي ونشأ على سماعه، وحفظه دائماً واعتاد عليه وألفه، ورأى الناس من حوله يمجّدونه ويهونونه فضلاً عن محاولة محاكاته ، كيف للعين التي تعودت قراءته ، والأذن التي تعودت سماعه ، والعقل الذي حفظه منذ الصغر ، وشب معه ورافقه واعتاده طوال عمره أن يدرك ما فيه من خطأ، بل وكيف لمن أراد أن يحاكيه أن يجد من يقبل منه رأيه لهذا السبب» (ص ٩٢).

انظر إلى هذا الغمز في كتاب الله ، ومحاولة الكاتب أن يستدرج القارئ المسلم لكي يتشكك في صحة القرآن ويتجرأ على الطعن فيه، وفي نفس الوقت فإنه يضلّل القارئ الأوربي فيصرفه عن محاولة فهم القرآن فهماً صحيحاً .

وعلى عكس ما يزعم رودينسون فإن معايشة القرآن والاهتمام به منذ الصغر يعتبر معجزة أخرى تضاف إلى معجزات القرآن الكثيرة ، وهي دليل دامغ آخر على حفظه الذي تكفل الله به فهياً لاستظهاره القلوب. ومن المعلوم أن أحداً لم يجبر أحداً على حفظ القرآن، بل إن النفوس هي التي هفت وحنّت إليه وسارعت إلى حفظه وفهم

(١) A History of God. Ballantine Books, New York, 1993, P.146.

(٢) انظر محمد عبدالله دراز ، مختصر مدخل إلى القرآن الكريم : ترجمة محمد عبدالعظيم علي (القاهرة : دار الدعوة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) ص ١٠-١٢ ، ٦٨.

معانيه والعمل بما فيه ، ولقد حفظه العربي والمعجمي سواء بسواء وحفظه الكبار والصغار والرجال والنساء والأميون والمتعلمون؛ بل إن من إعجاز القرآن أن المسلمين كلما نظروا فيه أبصروا خيراً يقود إلى خير ونوراً يهدي إلى نور ، والتقطوا منه درراً وفرائد تغري دائماً بطلب المزيد. إنهم لم يعموا بالنظر فيه وإنما أبصروا ، أبصروا معاني متجددة دائماً ومتوالدة أبدياً ولذلك فهم لم يملوه ولم ينصرفوا عنه. غير أن رودينسون وضرباءه يأبون إلا أن يلزموا قارئ القرآن أن يقر بوجود أخطاء وأغاليط فيه ، وإلا فهو أعمى مستعبد للقرآن ، بحكم الإلف والعادة .

وأما قوله بأن بعض المسلمين ، الذين سماهم بالمفكرين الأحرار ، قد حاولوا تقليد القرآن ونجحوا في ذلك فأنفوا - في زعمه - ما أطلق عليه معارضات القرآن فخطأ بين . فأين يا تري هي تلك الأعمال التي كتبها هؤلاء المعارضون حتى ندرسها ونقومها، وإنما لتساءل هنا كيف لم يستطع أصحاب المعارضات المزعومة أن يفرضوا وجودها فتبقى على خط متواز مع القرآن؟. وإذا كان الكاتب يلمح بكلامه هذا إلى ما قيل عن ابن الراوندي الملحد الذي طعن في النبوة والتوحيد والمعجزات^(١) ، أو ما قيل عن ابن المقفع أو أبي العلاء المعري أو غيرهم، فإنه أجمل القول لأن تفاصيله تظهر جهله وتمصبه .

نشير باختصار إلى ما قلناه في كتابنا القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي ، أن كتب وأعمال ابن المقفع والمعري على سبيل المثال لا تزال بين أيدينا ، وهي لا تداني بلاغة وبيان القرآن ، ولا ترقى إلى أي وجه من وجوه المقارنة بالنسبة له .

ثم يقول رودينسون أن المستشرق الكبير ثيودور نولدكه قد كتب باستفاضة عن الأخطاء الأسلوبية في القرآن (ص ٩٣). فهل ياترى يمكن أن يكون نولدكه حجة على لغة القرآن وأسلوبه وأن تكون حجته في مجال الدراسات القرآنية فوق حجة علماء المسلمين القدامى منهم والمحدثين ، الذين اتفقت كلمتهم على سمو لغة القرآن وكمال إحكام أسلوبه؟ ومن الأحكام التمسفية لهذا الكاتب أيضاً حكمه بأن «عمدًا لم يكن في باله أن يولف كتاباً وذلك لأن خيرته الأولى ، يعني خيرته الروحية لم تبن على الكلام وإنما على الأعمال الباطنية والرياضة الروحية كالكهان». وهذا تشكيك آخر في القرآن ، وفي رسالته العالمية وفي الإسلام جملة ، وإنما لتتعجب كيف يصل العداء

(١) انظر أبو الحسين عبد الرحيم الخياط، كتاب الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد، مع مقدمة وتحقيق وتعليقات للدكتور نهرج، (القاهرة - مكتبة المدار العربية للكتاب - ١٩٩٣م) ص ١ وما بعدها .

والحقد بإنسان إلى هذا الحد من التعسف ويجعله يتجاهل التاريخ والمنطق، و يكابر ضد الحقيقة الباهرة ، والواقع الثابت .

دعوى أن القرآن شعر وأن محمداً كان شاعراً :

وفي رأي رودينسون أن محمداً كان شاعراً وأنه كتب الشعر بلا شك ، ولكنه لم ينشره على الناس وفضل أن ينتظر حتى يقوم بالرسالة ويكتب أفكاره وما حصله طوال حياته من هنا وهناك بطرق مختلفة ، كما يزعم أن الرسالة التي أعطيت لمحمد كتبت أولاً بالشعر ثم حولت فيما بعد إلى هذا اللون من الكتابة الذي نجده في القرآن . إننا لا نعرف ولا يوجد دليل البتة على أنه صلى الله عليه وسلم كتب الشعر قط، أو أنه وضع نفسه في مصاف الشعراء أبداً، أو وضعه أحد من معاصريه أو من غير معاصريه في عدادهم، هذا بالرغم من علو مكانة الشعراء ونفوذهم في بيئتهم .

والقرآن نفسه ينفي نفياً قاطعاً أن يكون محمد شاعراً يقول تعالى : ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ (يس: ٦٩) ، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾ (الحاقة: ٤١) .

يقول القاضي أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) في التعليق على هذه الآيات : «وهذا يدل على أن ما حكاه (القرآن) عن الكفار من قولهم أنه شاعر، وإن هذا شعر لا بد من أن يكون محمولاً على أنهم نسبوه في القرآن إلى أن الذي أتاهم به هو من قبيل الشعر الذي يتعارفونه على الأعراب المحصورة المألوفة . أو يكون محمولاً على ما كان يطلق الفلاسفة على حكمائهم، وأهل الفطنة منهم في وصفهم إياهم بالشعر؛ لدقة نظرهم في وجوه الكلام وطرقهم في المنطق . وإن كان ذلك الباب خارجاً عما هو عند العرب شعر على الحقيقة . أو يكون محمولاً على أنه أطلق بعض الضعفاء منهم في معرفة أوزان الشعر . وهذا أبعد الاحتمالات.»^(١)، ومعنى كلام الباقلاني أنه بالرغم من أن القرآن يختلف عن الشعر تمام الاختلاف فإن وصف الكفار للنبي صلى الله عليه وسلم يحمل على ثلاثة وجوه :

- ١- إما أنهم فهموا أن القرآن لا يمكن أن يقاس إلا بالشعر الذي يعرفونه ويألفونه .
- ٢- وإما أنهم سموا النبي بالشاعر وأرادوا به معنى الحكيم كما كان الفلاسفة

(١) إعجاز القرآن، تحقيق عماد الدين أحمد صدر، بيروت، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ص ٧٦ - ٧٨ .

يطلقون على حكمائهم وأهل الفطنة منهم شعراء ، لما تميزوا به من دقة النظر وثقابة العقل.

٣- وإما أن يكون هذا الوصف قاله بعض الضعاف منهم ممن لا يستطيعون أن يميزوا بين الشعر والنثر.

فإذا كان العرب قد عنوا بتسميتهم القرآن شعراً على جهة وصفه بالسمو والحكمة كان إطلاقهم صحيحاً من هذه الجهة ، لأن ذلك كان غاية جهدهم ومبلغ علمهم في تقدير عظمة القرآن وسموه. أما التسوية الكاملة بين القرآن والشعر وبين النبي والشاعر فإنها مرفوضة بنص القرآن الكريم، ولزيادة الإيضاح نقول : إن العرب الذين وصفوا الرسول بالشعر إنما فعلوا ذلك لما كانوا يعتقدون من أن الشاعر يفتن لما لا يفتن له غيره، وأنه إذا قدر على صنعة الشعر كان على ما دونه أقدر وأمهر. فنسبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشعر لهذا السبب، وإنما كان مقصودهم هو الاعتراف على طريقتهم بالقيمة الأدبية للقرآن، فهم وإن كانوا أصابوا من جهة فقد أخطأوا من جهات ، وربما كان لهم العذر في ذلك إذ لم يكن لديهم إلا هذا المعيار النقدي ولا عندهم أسمى من الشعر منزلة. وما يجدر معرفته أن هؤلاء الذين وصفوا الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه شاعر والقرآن بأنه شعر كانوا يدركون تماماً الفرق الواضح والكبير بين الشعر والقرآن وبين الرسول صلى الله عليه وسلم والشاعر كما اعترف به الوليد بن المغيرة كما مر بنا .

ولو كان القرآن شعراً سهلاً عليهم أن يحاكيه أو أن يأتيوا بمثله فقد كانوا من أمهر الأمم في الشعر إبداعاً وتذوقاً ، ورواية ورعاية ، لكنهم لم يفعلوا ذلك ولا حاولوه. ثم إنه بعد أن انتهى الصراع بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعد أن انتصر الإسلام وساد في أنحاء الجزيرة العربية لم تظهر مثل هذه الدعوى قط، بل لقد تحول الجميع بما فيهم الشعراء والكهان إلى القرآن فحفظوه وجودوه ودرسوه ، وعملوا بأحكامه ، وأذعنوا لبلاغته ، وصار الشعر من ثم في درجة متأخرة بالنسبة للقرآن بعد أن كان هو المقدم عند العرب.

وأما ما ادعاه بعض المنتطعين من أن القرآن يحتوي على بعض الأشعار، أي الكلام الموزون المقفى فإن ما أشاروا إليه هم أنفسهم من البيت أو البيتين لا يصلح أن يكون دليلاً على دعوى أن القرآن شعر ، لا من حيث التركيب ولا من حيث الأسلوب والغرض . وعلى سبيل المثال جاء قول القائل :

قد قلت لما حاولوا سلوتي هيهات هيهات لما تورعون

زعموا أن الآية (٣٦) من سورة المؤمنون جاءت بهذا الشكل شطرة من بيت.

ومما يزعمون أنه شعر قوله تعالى : ﴿ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾ (سبأ: ١٣)، قالوا هو من بحر الرمل وهو من الوزن الذي جاء عليه هذا البيت.

ساكن الريح نطوف الـ مزن منحل العزالي

كما عدوا منه قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ ﴾ (فاطر: ١٨)، قالوا هو من بحر الخفيف ومنه قول الشاعر :

كل يوم بشمسه وغد مثل أمسه

وكقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (الطلاق: ٢ - ٣) قالوا هو من المتقارب، وقوله تعالى : ﴿ وَدَانِيَةٌ عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذَلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ (الإنسان: ١٤)، قالوا إنه بإشباع حركة الميم في ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ وهي الضمة يكون من بحر الرجز، وأوردوا عن أبي نواس (ت ١٩٩ هـ) أنه ضمن ذلك في شعر له على هذا النحو :

وفتية في مجلس وجوههم ريحانهم قد عدموا الثقيل

دانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذيلا

على أن هذين البيتين ليسا في ديوان أبي نواس، لكنه يوجد من شعره من هذا النوع ومنه :

وقرأ معلنا ليصدع قلبي والهوى يصدع الفواد السقيم

أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم^(١)

فإنه قد ضمنه آيات سورة الماعون (١ - ٣).

كما عدوا من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا ﴾ (١) ﴿ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴾ (٢) ﴿ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴾ (الذاريات ١ - ٣) من موزون بحر البسيط .

وقد نوهنا من قبل أن وجود مثل هذا الكلام الموزون لا يعني أن القرآن شعر ، إذ لو أننا أخذنا بهذا المنطق لوجدنا من كلام الناس الكثير من هذا النوع مما لم يقصد أصحابه أن يقولوا شعراً .

(١) الباقلائي ، إعجاز القرآن (ص٧٧) وأبو نواس ، ديوان ، بيروت ، دار صادر) ص٥٥٩ .

إن «البيت الواحد» كما يقول الباقلاني: «وما كان على وزنه لا يكون شعراً»، فأقل الشعر بيتان فصاعداً.

وقالوا أيضاً إن ما كان على وزن بيتين، إلا أنه يختلف رويهما وقافيتهما فليس بشعر. ثم منهم من قال إن الرجز ليس شعراً أصلاً، لا سيما إذا كان مشطوراً أو منهوكتاً. وكذلك ما كان يقارنه في قلة الأجزاء. وبهذا يبطل الاحتجاج على كون القرآن شعراً مجرد وجود مثل هذه الفقر المتفقة فيه .

طعن رودينسون في عقيدة الألوهية في الإسلام :

الإسلام هو دين التوحيد الخالص ، والتنزيه المطلق للذات الإلهية ، فلا تشبيه ولا تجسيد ولا تحديد ، ولا تكيف بجائز على الله تعالى أبداً، وهذا هو ما يتميز به الإسلام من بين الأديان جميعاً. ومن العجيب أن يزعم رودينسون بأن إله المسلمين لم يمنع في بداية الدعوة الإسلامية أن يعترف بوجود آلهة أخرى لها تأثيرها في الكون ، وأن محمداً، كان يدرك ذلك بدليل قوله فيما بعد ، وعندما شن الحرب على أهل مكة ، «الله أكبر» يعني بذلك أن الله أكبر من الآلهة الأخرى (ص ٩٧) . ونفس الكلام قرأناه في مقال على شبكة المعلومات يهاجم فيه صاحبه الإسلام بلا حياء، ويتهم فيه المسلمين بعبادة القمر .

ويزعم رودينسون كذلك أن محمداً قد وصل إلى فكرة الإله الواحد من خلال احتكاكه باليهود والنصارى ، ويقول إن الأفكار التي أراد محمد أن يقدمها في هذا الصدد ليست أصيلة في نفسها وإنما هي متحللة وملفقة من هنا وهناك ، ولكنها على أي حال تصلح كمادة لرواية تقوم في عرضها على طريقة جد شخصية . لقد اختزل هذا الكاتب اليهودي الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم في مجرد رواية شخصية خاصة بمحمد وهذه في نظرنا قلة مبالاة بالحقائق الدينية وبالحقائق التاريخية وقواعد المنهج العلمي معاً ، هذا فضلاً عن مصادمة هذه الدعوى الفارغة لمشاعر المسلمين ، ومشاعر المنصفين من غير المسلمين. وهو بهذا يخادع نفسه بتصويره للإسلام على هذا النحو الضيق الذي يتنافى مع عمق وسعة وعالمية الإسلام ، وعظمة رسوله صلى الله عليه وسلم . وفي نفس الاتجاه يقول رودينسون أنه بالرغم من أن محمداً قد استعار أفكاره الدينية من اليهود والنصارى وصيها في قوالب تتناسب مع الذوق العربي ، ومع

المعتقدات العربية ، فإنه اعتقد أن الوجود أو الملكوت من وراء الحاضر المشهود قد أعلن له عن نفسه . فمحمد إذا لم يفعل شيئاً ، من وجهة نظر رودينسون ، أكثر من تقديم التعاليم اليهودية والنصرانية التي تعلمها من اليهود والنصارى ، مشفوعة بدعوى الاتصال بعالم الغيب . (ص . ٩٧ وما بعدها) .

هذا منطقي معكوس وفكر رجل لا يرى في الدنيا غير نفسه ، ولا يرى لله عبداً مبدعين ، أو رسلاً مبلفين أو مصلحين عظماء إلا من بين من يعرفهم . إنه لم يثبت بطريق العقل أو النقل الصحيح أن محمداً قد أخذ من اليهود والنصارى ، كما ذكرنا من قبل ، وكل ما قدمه الكاتب في هذا الصدد ، لا يعدو أن يكون افتراضات ووهميات وطبوليات وشنشنة غريبة يهودية ، إنه لم يثبت وقوع الانتحال أصلاً حتى يقول إن محمداً صاغه صياغة عربية ملائمة لذوق قومه ؛ مع أن رودينسون قد ادعى فيما سبق أن محمداً قد استعار فيما استعار أيضاً الشكل والأسلوب الأدبيين للقرآن الكريم من اليهود والنصارى ، ولكنه يتناقض هنا فيقول أنه صلى الله عليه وسلم قد قام بتطويع وتكييف ما اقتبسه من هذه المصادر حتى تلائم الذوق الأدبي للعرب . وهل من المعقول أن نقول إن الإسلام ، وأساسه ومصدره القرآن ، لم يرض إلا الذوق العربي ؟ وماذا عن الذوق الفارسي والذوق الهندي والروماني ، والإندونيسي ، والماليزي ، والإفريقي ، والأسوي بشكل عام ، لقد وجد أهل هذه البلاد في القرآن ما لم يجدوه في لغاتهم الأم ، ولا في آدابهم وعلومهم الأولى ولقد حفظت الملايين منهم القرآن عن ظهر قلب ومهروا في علومه و معارفه ، ولا يزالون يحفظونه .

مزاعم رودينسون حول الصحابة .

لم يسلم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من طعن رودينسون وافتراءاته . فقد أشار إلى السيدة الطاهرة خديجة رضوان الله عليها التي زعم أنها كانت تسيطر على محمد وتستزله بما لها . وإلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي ربي في بيت النبي ، وإلى زيد بن حارثة رضي الله عنه مدعياً أنه هو الذي علم النبي صلى الله عليه وسلم الديانة النصرانية إلى حد كبير والتي كانت شائعة في قبيلته « كلب » (ص ٩٩) .

وأن عثمان بن عفان رضي الله عنه لم يعتنق الإسلام إلا بسبب حبه لرقية بنت خير المصطفين . وأن أبا بكر وعمر كانا يؤثران على محمد صلى الله عليه وسلم تأثيراً كبيراً

لأنه كان متزوجًا من ابنتيهما السيدة عائشة، والسيدة حفصة رضوان الله عليهما. وإن أبا بكر كان من عبدة الأبطال وأن طبيعته كانت تشبه طبيعة النساء إلى حد كبير ولذلك فإنه كان ينقاد لمحمد انقياداً أعمى (ص ٩٩). ويضيف رودينسون قائلاً إن أصحاب محمد الأوائل كانوا من ذوي الفكر الحر، ومن المتطلعين إلى الثقافة الأجنبية، بتعبير عصرنا الحديث، لذلك سهل عليهم أن يتزكوا دينهم القديم ويتبعوا محمداً (صلى الله عليه وسلم) الذي جاء إليهم بعلوم وثقافة من الخارج. وصيها لهم في قوالب لغتهم (ص. ١٠٢) كيف يجوز مثل هذا الكلام وكيف يصدر عن كاتب غربي يفترض فيه أنه يعرف أصول الكتابة العلمية؟ إنه لم يقدم دليلاً واحداً مباشراً أو حتى غير مباشر على صحة دعاواه العريضة. إنه على العكس مما يصوره رودينسون فإن هؤلاء المسلمين الأوائل كانوا من أبناء البيئة العربية، ومن المتأثرين بها شأنهم شأن غيرهم من العرب بصفة عامة، ولم يكن تحولهم من الوثنية والشرك إلى الإسلام، ديانة التوحيد، بهذه السهولة التي يحاول أن يصورها رودينسون. لقد بذل الرسول صلى الله عليه وسلم جهداً مضمناً وتحمل أذىً شديداً في سبيل إقناع المشركين بدعوته، وإدخالهم في دين الله، حتى اهتدوا فأبصروا النور الذي جاء به محمد واعتفقوه وعشقوه وافتدوه بأرواحهم، ولم يثبت أن واحداً منهم كان قد أعلن تمرده على دين قومه أو على تقاليدهم وعاداتهم الدينية أو الاجتماعية قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم.

أقوال الصحابة وعلماء الأمة في رسول الله وفي القرآن:

في هذا الموضوع نتحدث عن بعض صحابة النبي وبعض زوجاته صلى الله عليه وسلم الذين تعرض لهم رودينسون بالطعن والتجريح، وشكك في موقف بعضهم من الرسول ومن القرآن.

كان القرآن منذ نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يزال إلى اليوم وحتى قيام الساعة هو النور المبين الذي أضاء حياة الناس وملاً قلوبهم بالإيمان وبمحب الفضائل ومكارم الأخلاق، لقد شغل القرآن المسلمين منذ أن كانوا جماعة صغيرة العدد حتى صاروا أمة عظيمة واسعة الانتشار والتأثير. ولكي نبرز هنا تأثير القرآن العظيم على المسلمين ومدى عنايتهم به نعرض هنا بعض أقوال الصحابة وعلماء الأمة

في القرآن الكريم ، وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم . كانت بيوت النبي صلى الله عليه وسلم مضاءة بمصابيح الوحي، مزدانة بأزاهير التنزيل تزينها رياض القرآن . قال الله تعالى لنسائه صلى الله عليه وسلم ﴿وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ الأحزاب (٣٤) . وكتاب الله هو القرآن، والحكمة هي السنة وهي الميمنة للقرآن والمفسرة له، وهي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي .

كانت السيدة خديجة رضي الله عنها هي أول من آمن برسول الله وأول من سمع القرآن من فمه صلى الله عليه وسلم. وعندما سمعت منه القرآن أيقنت على الفور بأنه لا يمكن أن يكون هذا الكلام من كلام الجان أو الشيطان ، قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال لها بعد عودته من غار حراء «خشيت على نفسي» «كلا أبشر فو الله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتصديق الحديث ، وتحمل الكل (الضعيف) ، وتقرى (تكرم) الضيف ، وتعين على نوائب الحق»^(١)، وبهذا فقد وضعت السيدة الطاهرة معياراً لا يختلف عليه للتمييز بين كلام الله وكلام البشر، وبين آثار كلام الله في النفس وبين وسوسة الشيطان وأثرها في القلب.

كانت السيدة خديجة أسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ كانت عند زواجها منه بنت أربعين سنة أو نحوها ، ولذلك فقد كان دورها يتجلى في الرعاية التامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي المساندة الأدبية والروحية له عليه السلام وكما هو واضح من حديثها فإنها كانت امرأة ذكية وقوية الشخصية ، لها مهارة في تفسير الظواهر والمواقف ، وتوضيح الغامض من الأمور وفي هذا دليل على فقهها في معرفة النفوس، ومعرفتها القوية كذلك بالصلة بين مكارم الأخلاق ووحى الخلاق تبارك وتعالى.

جاء في الصحيحين عن علي رضي الله عنه: «خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة عليها السلام» وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله هذه خديجة أتتك بإناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة، من

(١) ابن كثير ، مختصر تنسير، ج ٣ ص ٦٥٦ وأبو عبد الرحمن ابن الجوزي، صفة الصفوة ، الاسكندرية، دار ابن خلدون، ج ١ ص ٢٥٦ و ٢٥٧، وابن حجر العسقلاني ، ج ٤ ص ٢٨١.

قصب، لا صعب فيه ولا نصب».

أما السيدة عائشة ، الصديقة بنت الصديق فكانت صغيرة في السن قوية فتية زكية وذكية، زوجها الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في هذه السن لتكون أقدر على حفظ كلام الله وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قوة الملاحظة والضبط، وأن تكون سنداً له صلى الله عليه وسلم وعوناً ، وهي في أوج شبابها وذروة نشاطها البدني والعقلي والنفسي والروحي. كانت السيدة عائشة رضي الله عنها حافظة فقيهة وراوية واعية وخبيرة بأنساب العرب وأشعارها ورجلة في مواقفها إذ كانت توصف برجلة النساء . رأت جبريل الأمين عليه السلام أكثر من مرة، ونزل بالوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحضرتها وأقرأها جبريل عليه السلام كما أقرأ خديجة السلام، وردت عليه السلام وقالت: «جزاه الله -أي جبريل- من صاحب ودخيل - ضيف - محيراً فنعم صاحب ونعم الدخيل». وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها أول من ربطت بين القرآن وبين أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قالت وقد صار قولها سيد الأمثال ، لما سئلت عن خلق رسول الله: «كان خلقه القرآن»^(١) .

أنزل الله في براءتها من فرية المنافقين قرآناً يتلى إلى يوم الدين ، جاء عنها رضي الله عنها وفي بداية محنتها قالت لأمها : (... وأنا جارية حديثة ، السن لا أقرأ كثيراً من القرآن بلى إني والله قد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا (أي حديث الإفك) حتى استقر في أنفسكم وصدقتكم به، ولكن قلت لكم إني بريئة ، والله عز وجل يعلم أنني بريئة ، لا تصلقوني، وإن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أنني منه بريئة تصدقوني، وإني والله لا أجد لكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف ﴿فَصَبِّرْ جَبِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَيَّ مَا تَصِفُونَ﴾ .

قالت ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، قالت وأنا والله أعلم حينئذ أنني بريئة، وأن الله عز وجل ميرثي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شأنني وحي يتلى، ولشأنني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله عز وجل في أمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله عز وجل بها.

قالت : فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا أخرج من أهل

البيت أحد حتى أنزل الله على نبيه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في شات من ثقل القول الذي أنزل عليه. قالت : فسرى، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال : «أبشري يا عائشة ، أما الله عز وجل قد برك ... فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾. قالت : فقالت لي أمي : قومي إليه ، فقلت: والله لا أقوم إليه ، ولا أحمد إلا الله عز وجل ، هو الذي أنزل براءتي ، وأنزل الله عز وجل : ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ العشر الآيات كلها.. فأنزل الله تعالى هذه الآيات ببراءتي»^(١) .

عن عروة عن أبيه أن عائشة - رضي الله عنها - كانت تسرد الصوم وعن القاسم قال كنت إذا غلوت أبدأ ببيت عائشة أسلم عليها فغدوت يوماً فإذا هي قائمة تسبح وتقرأ : ﴿فَمَنْ لَّلهُ عَلَيْنَا وَوَقَّانَا عَذَابَ السُّمُومِ﴾ (الطور ٢٧) وتدعو وتبكي وتردها، فقامت حتى مللت القيام، فذهبت إلى السوق لحاجتي ثم رجعت فإذا هي قائمة تصلي وتبكي .

قال مسروق عن عائشة عن فاطمة عليهما السلام : «أسر إلي النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل يعارضني بالقرآن كل سنة ، وإنه عارضني العام مرتين ، لا أراه إلا حضر أجلي» رواه البخاري.

وروى الزهري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة). البخاري . ومعنى يعرض عليه القرآن أي يقرؤه عليه ويدارسه إياه. وعن أبي هريرة قال : (كان يعرض على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كل عام مرة فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض، وكان يعتكف كل عام عشرًا، فاعتكف عشرين في العام الذي قبض) البخاري .

وما هذا الحرص إلا لشدة العناية بالقرآن وتأكيده سلامته من أي لبس أو احتمال تحريف بزيادة أو نقصان ، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يراجع مع جبريل طوال شهر رمضان كل عام وفي العام الذي توفي فيه صلى الله عليه وسلم راجعه مع

(١) ابن كثير ، مختصر تفسير، ج ٢ ص ٥٨٧ - ٥٨٨ ، وابن الجوزي ، صفة الصفوة، ج ١ ص ٢٦٢-٢٦٥ .

حبريل مرتين، وأكد هذا المعنى اعتكافه صلى الله عليه وسلم عشرين يوماً بدلاً من عشرة أيام ، كان شغله فيها صلى الله عليه وسلم العبادة وقراءة القرآن ، وفي هذا أيضاً مزيد عناية بالقرآن وحياطة له لا تترك للشك مجالاً ،

ولا للرية منفذاً وصدق الله تعالى إذ يقول : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر ٩). هكذا بهذه التأكيدات اللفظية الإعجازية التي تتحلى في إنا، ونحن ، ونا في نزلنا، وله ، وإعادة إنا وإدخال اللام على ﴿حَافِظُونَ﴾ .

عن أبي موسى الأشعري قال : (ما أشكل علينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قط فسألنا عائشة عنه إلا وجدنا عندها منه علماً) وعن مسروق قال : «غلف بالله لقد رأينا الأكاثر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون عائشة عن الفرائض» .

وعن عروة عن أبيه قال : (ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة، ولا بحلال، ولا بحرام ، ولا بشعر، ولا بحديث العرب، ولا بنسب من عائشة رضي الله عنها) وكان فقه عائشة موضع إعجاب الصحابة . قال الزهري رضي الله عنه : (لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وجميع النساء كان علم عائشة رضي الله عنها أكثر) (١) .

وقد انعقدت الثقة في أم المؤمنين حفصة بنت الفاروق عمر حيث وضعت عندها الربعة أي الصحف التي جمع فيها القرآن على عهد أبي بكر، جاء في حديث جمع القرآن الذي ذكره البخاري عن عبيد بن السياق (أن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال أرسل إلى أبي بكر الصديق مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده ... فكانت الصحف عنده حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها) (٢).

كان الصحابة رضوان الله عليهم أول من سمعوا القرآن منه صلى الله عليه وسلم وتلقوه عنه. وتذاكروه وتدبروه ، وكان منهم كتاب الوحي ، ومن قاموا بجمع القرآن، وكان منهم من اشتغل بتفسيره ، ومنهم من كان يقوم على تعليمه للعرب ولغير العرب في الآفاق التي فتحها الله على المسلمين ، وقد حفظ القرآن كله في حياة النبي صلى

(١) صفة الصفوة ، ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

(٢) نفس المصدر. ص ٢٦٩ .

الله عليه وسلم جمع غفير من الصحابة وعنوا به أيما عناية ، وحفظه من النساء ، أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يزورها ويسميتها الشهيدة . وأذن لها أن توم أهل بيتها في الصلاة . وقد قتلت أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فصدقت فيها نبوءة النبي صلى الله عليه وسلم (١) .

وهذه مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته أم أيمن واسمها بركة هاجرت على قدميها في الحر الشديد وهي صائمة . وقد بكت عندما رأت أبا بكر وعمر وقد ذهبا لزيارتها ، فلما سألاها ما يبكيك ؟ قالت ما أبكي إني لأعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صار إلى خير مما كان فيه ولكن أبكي لخبر السماء انقطع عنا ، فهيجت على البكاء فجعلنا يبكيان معها . قال الواقدي حضرت أم أيمن أحنأً وكانت تسقي الماء ، وتداوي الجرحى ، وشهدت رضي الله عنها خير ، وتوفيت في آخر خلافة عثمان رضي الله عنه (٢) .

هؤلاء هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلامذته صبروا على الأذى معه ، وآمنوا به واتبعوه . لم تفتنهم المحن ، ولم تتخطفهم من الإسلام الشواغل والمغريات ، ولا الأهل والولدان . هاجروا معه وتركوا كل شيء في سبيل الله وسبيله ، وفروا بدينهم من سلطان دنياهم ، وبنوا معه الدولة التي بها دالت دول الكفر والشرك والظلم والقهر . ثم بنوا معه الأمة التي كانوا هم أعظم لبناتها وأفخم روائها ، وحسموا أسباب الفرقة والاختلاف بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، وعقدوا البيعة قبل أن تتسع الجروح وتزداد الفتوق ويتمزق نسيج الأمة ، ثم حاربوا بفضل إيمانهم وإخلاصهم المرتدين فحاضوا معهم حرباً ضارية حتى قمعوهم وردوهم فكانوا عبرة وزجرة لكل خصوم الإسلام . ثم جمعوا القرآن ووجدوا نسخه ونشروه في الآفاق وفتحوا بحده وفرنده البلاد ، وغمروا بنوره ورحمته العباد .

وهنا نجد من الضروري أن نسلط مزيداً من الضوء على بعض كبار الصحابة الذين تعرض لهم رودينسون بالنقد في قرينة جمع القرآن ، وشكك في طبيعة علاقتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) نفس المصدر ، ص ٢٨٦ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٧٧ .

أبو بكر الصديق :

أبو بكر الصديق هو الصديق الأقرب إلى قلب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وأول من آمن به من الرجال ، وصدق بخير الأسراء والمعراج فتمكن بذلك من مقعد الصديقية ، وضحي بحاله وراحته ومكاته في سبيل حبيبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثاني اثنين إذ هما في الغار ، رفيق المحرة ، قدمه رسوله الله صلى الله عليه وسلم للصلاة فرضيه المسلمون لدينهم ثم ارتضوه بعد ذلك إماماً وخليفة لشئون دينهم ودنياهم . عن الحسن قال : قال علي - رضي الله عنه - : « لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم قد قدم أبا بكر في الصلاة ، فرضينا لدنيانا من رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لديتنا»^(١) . وقد نزل في فضل أبي بكر قرآن وشهدت بعظمة خلّاقه وحسن صحبته السنة ، ومن خطبه رضي الله عنه : (أما بعد أيها الناس ، قد وليت أمركم ولست بخيركم ، ولكن قد نزل القرآن وسن النبي صلى الله عليه وسلم السنن فعلمنا . اعلّموا أن أكيس الكيس التقوى ، وأن أحق الحق الفحور ، إن أقوامك عندي الضعيف حتى أخذ له بحقه ، وإن أضعفكم عندي القوي حتى أخذ منه الحق ، أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع ، فإن أحسنت فأعينوني وإن زغت فقوموني).

ومن خطبة أخرى له (أما بعد فإني وليت هذا الأمر وأنا له كاره ، والله لو ددت أن بعضكم كفانيه ، ألا وإنكم ان كلفتموني أن أعمل فيكم (مثل) عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أقم به . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عبداً أكرمه الله بالوحي وعصمه به ، ألا وإنما أنا بشر ولست بخير من أحد منكم فراعوني ، فإذا رأيتموني استقمتم فاتبعوني ، وإذا رأيتموني زغت فقوموني....)

ومن خطبة أخرى له يقول : « ... اعلّموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم ، وأخذ على ذلك موثيقكم ، واشترى منكم القليل الفاني بالكثير الباقي ، وهذا كتاب الله فيكم لا تفتني عجايبه ، ولا يطفأ نوره ، فصلدقوا قوله ، واتصحووا كتابه واستفيثوا منه ليوم القيامة ... »^(٢) .

لقد كان أبو بكر رجلاً قرآنياً بكل طاقته وقامته وسيرته كان هو أول من جمع القرآن ، وأحمد فتنة الردة ، وأمضى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج ١ ص ٧٩، ابن حجر، الإصابة، رقم ٤٨١٧، أبو نعيم، حلية، ج ١ ص ٢٨.

(٢) نفس المصادر .

عن عبد الله بن عمر قال : « كان سبب موت أبي بكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كمد فمزال جسمه يجرى حتى مات » ، وكانت وفاته سنة ثلاث عشرة من الهجرة .

عمر بن الخطاب :

أما أبو حفص عمر بن الخطاب فكان القرآن هو مدخله إلى الإسلام، لم تستطع قوة أن تهزم قوته، أو تصد سطوته وثورته إلا آيات من سورة طه مست شغاف قلبه فهزته هزاً عنيفاً وجعلته يتطامن بعد تطاول . وقد أوردنا حكايته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاً عندما سمع سورة الحاقة من فم رسول الله وهو يقرؤها بالمسجد الحرام فجعل عمر كلما سمع تعجب من نظم القرآن، وانشرح صدره بنور كلمات الله ووقع الإسلام في قلبه ، وتمكن من فوائده .

ولما توجه عمر تلقاء بيت أخته فاطمة ليفتك بها لما سمع بإسلامها، قاومته وراجعته حتى يمس منها ، فقال لها : أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرأه ، لأنه سمعها تقرأ هي وزوجها، وكان عمر قارئاً للكتب، فقالت له أخته : إنك رجس ولا يمسه إلا المطهرون فقم فاغتسل ، أو توضأ ، فقام فتوضأ لأن قلبه قد لان آنذاك ، وعصبيته قد زالت . أخذ عمر الكتاب فقرأ فيه ﴿طه﴾ حتى انتهى إلى قوله ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ .

فقال عمر دلوني على محمد. فلما سمع خباب بن الارت ، وكان بالدار يقرأ القرآن مع فاطمة وزوجها وكان محتبباً فظهر ، وقال أبشر يا عمر فإنني أرجو أن تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ليلة الخميس (اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمر بن هشام ، قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الدار ، التي في أصل الصفا ، فانطلق عمر حتى أتى الدار وأعلن إسلامه أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبير المسلمون عند ذلك ، وهكذا عز الإسلام بعمر ، كما عز عمر بالإسلام ، وبإسلام عمر دخلت الدعوة الإسلامية طوراً جديداً وقوى وضع المسلمين . وعلى الجانب الآخر فقد أحدث اعتناق عمر للإسلام ارتباكاً في صفوف المشركين .

وبهذا ندرك أن الإسلام لم ينتصر بالقوة الإلهية وحدها بل بجهاد المسلمين ومشاربتهم أيضاً . ولكي ينتصر الحق فلا بد له من قوة إلهية وقوة بشرية تعملان معاً وفي نفس الوقت على نصرته وحمايته .

عن ابن عباس قال: « سألت عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأي شيء سميت الفاروق؟ قال أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام ثم شرح الله صدري للإسلام فقلت: الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى، فما في الأرض نسمة أحب إلي من نسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: أين رسول الله؟ فقلت أحتي هو في دار الأرقم ابن الأرقم عند الصفا فأتيت الدار وحمزة في أصحابه جلوس في الدار، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت فضربت الباب فاستجمع القوم فقال لهم حمزة: ما لكم؟ قالوا: عمر بن الخطاب. قال: فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بمجامع ثيابه، ثم هزه هزة فما تمالك أن وقع على ركبته، فقال: ما أنت بمتة يا عمر؟ قال: قلت: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قال: فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد. قال: فقلت: يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال: بلى، قال والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متتم وإن حييتم.

فقلت: فيما الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لنخرجن فأخرجناه في صفيين، حمزة في أحدهما، وأنا في الآخر، له كديد ككديد الطحين، حتى دخلنا المسجد. قال: فنظرت إلي قريش وإلى حمزة فأصابتهم كآبة لم يصيبهم مثلها فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق»^(١).

قال أهل السير أسلم عمر وهو ابن ست وعشرين سنة بعد أن أسلم أربعون رجلاً وعشر نسوة.

وعن داود بن الحصين والزهري قالا: لما أسلم عمر نزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد استبشر أهل السماء بإسلام عمر.

الله يا عمر يكتب خروج الإسلام على يدك من الدار إلى البوادي والقفار، ثم إلى البلاد والأمصار وتفوق قوتك يا عمر بسر سورة طه قوة المشركين.

إنك أنت يا عمر الذي خرج من ضيق الكفر، إلى سعة الإيمان ومن ظلمة الشرك إلى نور التوحيد، ومن شهرة لا تعدو بطاح مكة، وقبائل العرب المجاورة إلى الشهرة العالمية التي طبقت الخفافين وملأت أرجاء العالمين، وصيرتك من السابقين ومن المقدمين.

(١) صفة الصفوة، ج ١ ص ٨٢-٨٥، الإصابة، ج ٢ رقم ٥٧٣٦، مروج الذهب ص ٣١٢ وما بعدها.

لقد عر عمر بجاه القرآن، وروى منه وطعم، ومثله وتخلقه، حتى انبثق منه نوره وفاض سنه فكان صحائياً قوياً، شجاعاً مقداماً، وكان قرآنياً حازماً، رحيماً كريماً جمع بين أقصى الطرفين العدل المطلق، والرحمة المطلقة، وهذه هي أهم الخصائص العمرية.

لأنه أحب القرآن فكان القرآن ينزل بموافقه في بعض المناسبات وكان القرآن كان يبادلُه حباً محب، وموافقة بموافقة. أخرج الترمذي عن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه» قال ابن عمر: «وما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال، إلا نزل القرآن على نحو ما قال عمر».

عن أنس رضي الله عنه قال: قال عمر - رضي الله عنه - «وافقت ربي عز وجل في ثلاث قلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة ١٢٥) وقلت يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجن فنزلت آية الحجاب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِرُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ (الأحزاب ٥٣) واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة فقلت: «عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكنّ مسلمات مؤمنات فإتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً﴾ (التحريم ٥) فنزلت كذلك». حديث متفق عليه.

وعن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قد كان في الأمم محدثون، فإن يكن في أمتي فعمرو». حديث متفق عليه.

وكان عمر قويا على الشيطان، عن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعمر: "والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا إلا سلك فجا غير فحك". أخرجاه في الصحيحين.

وعنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة» وكان عمر هو أول من نبه على خطر تواجد العلوج والخدم غير المسلمين في المدينة

المنورة ، وذلك لما طعنه غلام المغيرة واسمه أبو لؤلؤة المحوسى . قال عمر والدم يسيل منه « الحمد لله الذي لم يجعل ميتي بيد رجل يدعى الإسلام » ، ولما قيل له : إن شئت قتلناهم قال : « .. بعدما تكلموا بلسانكم ، وصلوا إلى قبيلتكم ، وحجوا ححكهم » . فانظر إلى هذه الشخصية القوية كيف تسامح ولا تطالب بالثأر ، أو تخرض على الانتقام .

كان عمر رحمه الله صاحباً لرسول الله ، ومصاحباً لكتاب الله . لما حمل على سريره ليدفن بجوار صاحبه أشار إليه علي بن أبي طالب وقال : « والله ما على الأرض رجل أحب إلى أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسحى بالثوب » .

عثمان بن عفان:

وأما عثمان ذو النورين فهو الرجل الحيي والمستحي منه . كان غنياً كريماً وشهماً نبيلاً ، نهل وعب من نبع القرآن وتزود من مأدبة الفرقان ، أحبه النبي صلى الله عليه وسلم ، وأحبه أصحابه وأقرؤا له بالفضل . عن ابن عمر في قوله تعالى : ﴿ أَمْ مَنْ هُوَ قَائِلٌ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ قال : « قصد عثمان بن عفان » .

قالت زوجته حين قتل : « قتلتموه وإنه ليحيى الليل كله بالقرآن »^(١) .

جمع رضي الله عنه القرآن في مصحف إمام ، جمع على قراءته ألسنة أهل الأمصار ، فقرت بعمله المبارك هذا عيون المسلمين ، وصار مصحف عثمان هو المصحف الإمام . وقد مرت الإشارة إلى أن القرآن قد جمع ثلاث مرات كما ذكر الحاكم في المستدرک ، الأولى بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم . قال الحارث المحاسبي (ت ٢٤٣هـ) في كتاب فهم السنن (كتابة القرآن ليست بمحدثة فإنه صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابته ، ولكنه كان مفرقاً في الرقاع والأكتاف والعصب . فلما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعاً وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها القرآن منتشر فجمعها جامع ، وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء^(٢)) والجمع الثاني في عهد أبي بكر ، والثالث في عهد عثمان رضي الله عنهما ، وكان عبارة عن ترتيب السور في المصحف . وفي الإجابة على سؤال كيف وقعت الثقة

(١) صفة للصفوة، ج ١ ص ٩١ - ١٠٤ .

(٢) السيوطي ، إتقان ، ج ١ ص ١٧٠ .

بأصحاب الرقاع وصدور الرجال؟ يقول المحاسبي : قيل لأنهم كانوا يبدون عن تأليف معجز، ونظم معروف، وقد شاهدوا تلاوته من النبي صلى الله عليه وسلم عشرين سنة، فكان تزوير ما ليس منه مأمونا، وإنما كان الخوف من ذهاب شيء من صحيفة .

وإذا فاحتمال ضياع شيء من القرآن فإنه أمر مستبعد بالكلية لأن الله قد تكفل بحفظه ، وهياً الأسباب لتحقيق ذلك ، وإنما كان تخوف الصحابة من حدوث أدنى شيء من التحريف في القرآن هو حرصهم الشديد على بقاءه سالماً كما أنزله تعالى .

وأخرج ابن أبي أشتة في كتاب المصاحف أن رجلاً من بني عامر يقال له أنس ابن مالك قال : «اختلفوا في القراءة على عهد عثمان حتى اقتتل الغلمان والمعلمون، فبلغ ذلك عثمان بن عفان فقال : عندي تكذبون به وتلحنون فيه فمن نأى عني كان أشد تكذيباً، وأكثر لحناً يا أصحاب محمد اجتمعوا فاكتبوا للناس إماماً. فاجتمعوا»^(١) .

وجه عثمان رضي الله عنه الرهط القرشيين الذين اختارهم لجمع القرآن أن يكتبوا القرآن بلغة قريش لأنه (إنما نزل بلسانهم) . وهذا يفيدنا في مسألتين تختصان بطبيعة لغة القرآن ، الأولى أن القرآن قد نزل في عمومه بلسان قريش ، وهو المعبر عنه في قوله تعالى ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ . وأما الثانية فإن لغة ، أو لهجة قريش ، كانت هي الأرق والأوسع من حيث الألفاظ والأعمق من حيث المعاني، والأحكم والأجزل من حيث التراكيب والمباني ، والأمكن والأظهر من حيث الاستعمال والشيوع . نقل ابن جني في الخصائص عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب قال : «ارتفعت قريش في الفصاحة عن عننة تميم، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وتضعج قيس، وعجرفية ضبة وتلتلة بهراء» ومعنى عننة تميم أنها كانت تقول «أن» في موضع «عن» وأما تلتلة بهرام فإنهم كانوا يقولون تعلمون وتفعلون بكسر التاء. وأما كشكشة ربيعة فإنها تقول مع كاف ضمير المؤنث إنكش، ورأيتكش، وأعطيتكش تفعل هذا في الوقف دون الوصل. وأما كسكسة هوازن فتظهر في قولهم أعطيتكش، ومنكش وعنكش. وهو في الوقف دون الوصل أيضاً^(٢) .

زيد بن حارثة :

زيد بن حارثة بن عبد العزى بن امرئ القيس . كان يقال له زيد الحب . وقع زيد

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) أبو الفتح عثمان بن جني. الخصائص. (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) ج٢

ص ١٣-١٤ .

في الأسر في الجاهلية عندما غارت خيل لبني القين على آيات بني معن فأسروا زيدا وهو يومئذ غلام يفعة، ثم حملوه إلى سوق عكاظ وباعوه هناك للحكيم بن حزام الذي اشتراه لعتمته خديجة بنت خويلد بأربعمائة درهم، فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أسن من زيد بعشر سنين وأكبر منه، ولما عرف أبو زيد بعد بحث أن ابنه في مكة عند رسول الله ذهب إليه هو وعمه كعب وقالوا له وكان في المسجد: يا ابن هاشم، يا ابن سيد قومه، أنتم أهل حرم الله وجيرانه تفكون العاني وتطعمون الأسير، جثثاك في ابنتنا عندك، فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائه، فإننا سنرفع لك في الفداء.

قال: ما هو؟ قالوا: ما هو؟ قالوا: زيد بن حارثة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فهلا غير ذلك؟ قالوا: ما هو؟ قال: ادعوه فخبروه فإن اختاركم فهو لكما بغير فداء، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحداً. قالوا: قد زدتنا على النصف (بفتحة مشددة على التون وفتحة على الصاد ومعناها إعطاء الحق) وأحسنست. ولما جاء زيد ورأى أباه وعمه خيبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال زيد ما أنا بالذي أختار عليك أحداً. أنت منى بمنزلة الأب وانعم. فقالوا: ويحك يا زيد أختار العبودية على الحرية، وعلى أهلك وعمك، وأهل بيتك؟ قال: نعم. إني قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً. فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منه أشهد الناس أنه تبني زيداً فدعى زيد من يومها بزید بن محمد حتى جاء القرآن يبطل عادة التبني، يقول تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَيَاخُوا نَكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ...﴾ (الأحزاب ٥) فدعى يومئذ زيد بن حارثة، بعد أن كان يدعى زيد بن محمد.

زوجه النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته أيممة بنت عبد المطلب. فلما طلقها زيد لحدة كانت فيها عليه، تزوجها رسول الله بعد أن انقضت عدتها، بأمر الله تعالى، ولذلك كانت زينب تفخر على نساء النبي، وتقول إن الله عز وجل أنكحني من السماء. ولما تكلم المنافقون في زواج النبي منها، وقالوا تزوج محمد امرأة ابنه، نزل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الأحزاب ٤٠) وقوله قبلها: ﴿لَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (الأحزاب ٣٨). قال

الزهري : أول من أسلم زيد . ولم يسم الله أحدًا من الصحابة في القرآن باسمه غير زيد . وقد شهد زيد غزوة بدر ، وأحد ، والخندق ، والحديبية ، وخيبر ، واستخلفه النبي صلى الله عليه وسلم ، على المدينة حين خرج إلى الميصر ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبع سرايا . وقتل زيد في غزوة مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان ، وهو ابن خمس وخمسين سنة فبكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتحب ، فقال له سعد بن عباد : ما هذا يا رسول الله ؟ قال: هذا شوق الحبيب إلى حبيبه^(١).

هذا هو زيد بن حارثة حِبُّ رسول الله الذي يزعم مكسيم رودينسون أنه كان يعلم محمدًا الديانة النصرانية التي كانت شائعة في قبيلته ، إنه لا يوجد أي دليل ، ولو بحجم فسخ الشعر على أن زيدًا كان ملتمًا بالنصرانية حتى يعلمها غيره ، وقد ذكرنا أنه كان غلامًا يافعًا عندما اشترته خديجة رضوان الله عليها . وليس يوجد لدينا كذلك ما يفيد ولو من بعيد أن زيدًا كان له اهتمام بالنصرانية ، وشغل بها ، يضاف إلى هذا أن قبيلته لم تكن معروفة كذلك بالنشاط الديني بين القبائل . وبالتالي فزعم رودينسون لا أساس له ولا دليل عليه أصلاً .

وما كان أحرى بالكاتب ، لو أراد أن يلتزم الحق أن يقول أن زيدًا شأنه شأن جميع الصحابة هو الذي تعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزود من أدبه وخلقه ، ولولا محمد لما سمع أحد عن زيد .

المفاوضة بين رسول الله والمشركين وأكذوبة الفرائق :

ونعود الآن فنواصل عرضنا وتحليلنا لكتاب رودينسون . وتتناول هنا الموضوع الذي أثاره حول تلك المفاوضة التي جرت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أبي الوليد عتبة بن ربيعة نيابة عن قريش ، بقصد أن يتخلى النبي صلى الله عليه وسلم عن دعوته في مقابل تحقيق أي شيء قد يرغب فيه ، المال ، أو السلطان ، أو العلاج إن كان يعاني من مرض .

يزعم الكاتب أن هذه المفاوضة قد لفقها مؤرخو المسلمين لخدمة غرض معين ، ولكنها في نفس الوقت تحتوي على شيء من الحقيقة ، هذا الشيء تؤكد قصة

(١) صفة الصفوة ، ج ١ ص ١١٨ - ١٢١ ، ابن حجر ، الإصابة ، ج ١ ص ٥٦٣ .

الفرانيق، تلك الأكنوبة التي باعت بإثمها بعض كتب التاريخ ، وتلخص القصة كما لفقوها في أنه صلى الله عليه وسلم كان يجب أن ينزل عليه شيء من القرآن يرضي قومه ويخاملهم ، لأنه صلى الله عليه وسلم كان يجهم ، ويود أن يقرب منهم وتحسن علاقته بهم ، تقول الرواية الموضوعة ، أنه بينما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي بسورة النجم سكت سكتة طويلة بعد قراءة ﴿الرَّأْيُتُمُ اللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ (النجم ١٩-٢٠) فوضع الشيطان على لسانه هذه العبارة : «تلك الفرانيق العلاء وإن شفاعتهن لترنجي» . ففرحت قريش بتمجيد محمد لأهتها وسجدوا مع المسلمين على سبيل الشكر . وكتيبة لهذا الموقف الملفق عاد المسلمون المهاجرون من الحبشة إلى مكة .

وقد بينت في قرينة ردي على المستشرق الإسكتلندي مونتجمري وات في كتابي «القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي» تهافت هذه القصة ، وتهافت المتمسكين بها ، ومما ذكرته أن أول سورة النجم بل وآياتها كلها تكذب الواقعة من أساسها ، إذ يشتمل أول السورة على قَسَمٍ بأن محمداً صلى الله عليه وسلم ما ضل وما غوى ، وأنه لا ينطق عن الهوى فأين منفذ الشيطان هنا يا تري؟

وعلاوة على هذا فإن هذه الآيات قد نزلت بشأن المعراج ، المترتب على الإسراء. وموقف المشركين منه صلى الله عليه وسلم في هذا الوقت، وبسبب هذا الحدث العظيم جد معروف ، فقد كذبوه وشنعوا به ، حتى لقد ارتد بعض ضعاف الإيمان من المسلمين بسبب وقع خمر الإسراء على نفوسهم . وموقف قريش منه صلى الله عليه وسلم قبل هذه الحادثة أيضاً جد معروف ، فلقد فقد النبي صلى الله عليه وسلم عمه ونصيره أبا طالب فازداد توثب الكفار عليه وملاحقتهم له واشتد أذاهم به ، ولم يحدث أن هادنهم أبداً ، أو أنه غمى مواصلتهم فيما حرم الله تعالى ، أضف إلى ذلك أن آية السجدة هي آخر آية في سورة النجم ؛ وهي تدعو إلى السجود لله وحده ، وكيف يعرف المشركون أن في هذه الآية سجدة تلاوة حتى يسارعوا هكذا بالسجود. ومن الجدير بالملاحظة أن العرب لم تعرف أصناماً قط بهذا الاسم «الفرانيق العلاء» حتى تأتي الآية في تمجيدها على هذا النحو . إن هذه القصة مرفوضة من جميع الوجوه ، وليس لها أصل لا في القرآن ، ولا في الأحاديث الصحيحة ، بل ولا في الأحاديث الضعيفة ، وكل ما روي بشأنها من المرسلات والمنقطعات ، هذا ولم يقبلها أحد من علماء المسلمين كذلك ، بل إن هذه القصة المتهاقنة لم تظهر في

الكتابات المبكرة في الإسلام ، ولم يذكرها ابن إسحاق وهو الحجة في كتابة السيرة النبوية، وإنها لم تظهر إلا في كتاب أبي جعفر ابن جرير الطبري (ت ٩٢٣ م) مؤرخ القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي. وفوق ذلك وقبل كل شيء فإنها منافية تمامًا لعقيدة التوحيد التي هي روح وقاعدة الإسلام ، والتي لم يهادن فيها محمد صلى الله عليه وسلم قط ، بل لقد تحمل الأذى ، كل الأذى في سبيلها .

يقول رودينسون : «إن محمدًا لما أدرك خطورة ذلك على دعوته اخترع فكرة كون هذه الآيات من وضع الشيطان ، وزعم أن كل نبي من أنبياء الله كان قد تعرض لمثل هذا الموقف من قبل » يشير الكاتب بذلك إلى قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (الحج ٥٢ ، ٥٣) ، ومعنى ﴿تَمَنَّى﴾ أي رغب في هداية قومه ، ومعنى ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ أي حاول أن يقترح عليه طرقًا أخرى لجذبهم إلى دعوته^(١) . وما دام النبي ، أي نبي ، لا يأخذ إلا عن الله تعالى ولا يتلقى إلا منه تعالى ، فإنه عز وجل كما يعصمه من الناس يعصمه كذلك من وساوس الشيطان وإلقاءات الشيطان في الروح ، وهذا لا متعلق له بالقرآن ، بل هو حديث النفس ، وهو على شاكلة قوله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (الكهف ٦) . ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾ (فاطر ٨) . وقوله لنوح عليه السلام عندما قال : ﴿رَبِّ إِنِّي مِنْ أَهْلِي﴾ ، ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ (هود ٤٤ ، ٤٥) . هذا ولم يرد في القرآن قط أن نبيًا من أنبياء الله تعالى تقرب إلى قومه بما هو ضد دعوته ، بل على العكس لقد كانت معركة جميع الأنبياء دائمًا مع أقوامهم من أجل إقرار عقيدة التوحيد وإفراد الله تعالى بالعبادة .

يقول رودينسون : «أن الثلاث آيات التي زعموا أن الشيطان ألقى بها في القرآن ، قد انتزعتها محمد منه ووضع مكانها آيات أخرى في رفض طائفة ، أو عبادة الغرائيق . ويقول أيضًا أن رواية الطبري لهذه الحادثة جيدة لأنه وضعها في عبارات صريحة وواضحة ، تفيد أن اللازم لدى محمد قد استطاع أن يمدده بصيغة توفيقية كانت محل إجماع المسلمين والمشركون ، وهي في نفس الوقت لم تبدُ مصادمة لعقيدة محمد في

(١) ابن كثير ج ٢ ص ٥٥٠ - ٥٥١ ، وج ٢ ص ٤٤٠ - ٤٠١ .

الدعوة إلى إله معين ، مع عدم رفض الآلهة الأخرى أو الاعتراض عليها **Henotheism** وذلك لأن هذه الغرائق والتي كان يطلق عليها أيضا بنات الله ، كانت من نوع الطير، وكانت تشبه الملائكة أو الجن التي اعتقدَ فيها أنها تابعة وخاضعة لله ، وبهذا أضفى محمد الشرعية على هذه المعبودات» يعني الغرائق . (ص ١٠٧) .

وبهذا يكون رودينسون قد استطاع أن يلتقط تلك الشعيرة ، أعني حكاية الغرائق الملفقة ، ويوظفها ضمن عملية تحليلاته النفسية المادية غير العلمية على شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم . ويستمر رودينسون في نظم مزاعمه فيقول : «إن هذا الاعتراف من قبل محمد بالغرائق ، يعني آلهة قريش ، فيه إشارة إلى أن الدعوة التي جاء بها لا تعد ثورية في مجالها ، وأن هذه الفرقة الجديدة (يعني المسلمين) قد وجدت آلهة أهل مكة واحترمت أماكنها المقدسة ، وبالتالي فقد عاد محمد بهذا إلى وثنية قومه ، ونبذ ما تعلمه من اليهود والنصارى» .

يبدو أن هذا الكاتب لا يتحمل أن يكون موضوعياً ومعقولاً ، ولو للحظة واحدة ، في قراءة مادته وفي تحليلها ، وتأسيس النتائج عليها ، ويبدو كذلك أنه يتكلم عن دين ليس هو الإسلام بالقطع . ومن الجدير بالملاحظة أن رودينسون بينما يطلق على الإسلام اسم «فرقة» كما هو عنوان الباب الثاني من كتابه هذا ، كتعبير عن الإسلام يتجاهل تماما إطلاق اسم «الدين» أو «الديانة» على الإسلام .

يضيف نفس الكاتب قائلا : «إنه وبعد فرحة الوثنيين المزعومة في مكة بعودة محمد إلى دينهم ، والاعتراف بألهتهم ، كان على محمد أن يقرر إما أن يستمر هكذا مع قومه الوثنيين على هذا الوضع ، أو يرجع إلى اليهودية أو النصرانية وينتمي إلى الكنائس الأجنبية ليؤسس لنفسه مجداً يتزعم به على العرب ، إلا أنه لما عاد إلى الوجدانية مرة أخرى عاداه قومه واضطهدوا أتباعه وألبوا عليه القبائل بحجة أنه قد خرج عن دين الأسلاف» (ص ١٠٨ و ١٠٩) .

ثم يشير مكسيم رودينسون إلى حصار الكفار للمسلمين في شعب أبي طالب بمكة، ويقول : «إن هذا الحصار لم يكن كافياً في التضييق على المسلمين وذلك لأن العرب لم تكن لهم حكومة مركزية يمكن أن توقع هذا الحصار بالشدة المطلوبة (ص ١١١) ولسنا ندري ما نوع الحصار الذي يريده رودينسون ! هل كان يريد حصاراً من نوع الحصارات الحديثة التي تفرضها الأمم الغربية ؛ وبالذات على الدول الإسلامية لإضعافها ؟ لقد كان الحصار شديد الوطأة على المسلمين ، وكان يعتبر

حصارًا غير مسبوق تقريبًا ، لكن المسلمين قد صمدوا له لأنهم كانوا أصحاب رسالة إلهية سامية ، ولهم هدف محدد وغاية معروفة ، ولذلك فقد خرجوا منه منتصرين ، حتى لكأن شعب أبي طالب قد صار هو القاعدة التي انطلق منها الإسلام قويًا ليتنشر نوره في العالمين، ويغمر بسماحته أهل الأرض أجمعين .

وبنفس الطريقة المفرضة يزعم رودينسون أن المسلمين الأوائل ، الذين أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى الحبشة للهروب من اضطهاد قريش ، كانوا يمثلون خطرًا على محمد نفسه، ولذلك فإنه تخلص منهم عندما وجههم إلى هذه البلاد ، مستشهدًا على ذلك بالميلول الدينية الحنيفة لعثمان بن مظعون من بني جمح ، الذي هاجر هو وابنه السائب ، وأخواه قدامة وعبد الله ابنا مظعون إلى الحبشة^(١). ويزعم رودينسون أنه نظرًا لتمسك عثمان بن مظعون بالوحدانية خشية محمد على نفسه منه إذا بقي في مكة أن يجمع الناس حوله ويصرفهم عنه (ص ١١٤) . لو راجع هذا الكاتب فكرته ، وتأنى في إصدار تلك الأحكام التمسفية ، والاستنتاجات الوهمية ، لعلم أن المهاجرين إلى الحبشة كبقية الصحابة كانوا يحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب كله ، ويطيعون أمره ويعتقدون في صدق رسالته لا يرتابون في ذلك نقيراً ولا قطميراً ، وأنه لو كان الأمر كما ظن هذا المخرص لتمسك عثمان بن مظعون على العكس بالبقاء في مكة لنشر أفكاره وتجميع الناس من حوله، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث قط ، لا قبل الهجرة إلى الحبشة ، ولا بعدها .

بل إن ابن هشام ليروي إنه لما رأى عثمان بن مظعون ، بعد أن رجع من الحبشة ودخل مكة في حماية الوليد بن المغيرة ، ما فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء ، وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة ، قال : «والله إن غدوي ورواحي آمنًا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبي ، لنقص كبير في نفسي . فمشى إلى الوليد بن المغيرة ، فقال له وفيت ذمتك ، قد رددت إليك جوارك ، ولكني أرضى بجوار الله ، ولا أريد أن استجير بغيره» . وأورد ابن هشام كذلك أن عثمان بن مظعون سمع لبني ابن ربيعة ينشد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

(١) سورة ابن هشام، ج ١ ص ٢٨٠ - ٢٨٤ ، ابن الجوزي. صفة الصفوة، ج ١ ص ١٤١ - ١٤٣ ، ابن حجر. الإصابة، ج ٢ ، ص ٢٤٩ . وحول شعب أبي طالب، انظر سورة ابن هشام، ج ١ ، ص ١١١ .

قال عثمان : صدقت . قال لييد :

وكل نعيم لا محالة زائل

قال عثمان : كذبت : نعيم الجنة لا يزول . قال لييد بن ربيعة : «يا معشر قريش، والله ما كان يُؤذَى جليستكم ، فمتى حدث هذا فيكم». فقال رجل من القوم: «إن هذا سَفِيهُ في سَفْهَاء معه ، قد فارقوا ديننا ، فلا تجدن في نفسك من قوله»؛ فرد عليه عثمان حتى شري أمرهما ، فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فحضرها والوليد ابن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان ، فقال :«أما والله يا ابن أخي أن كانت عينك عما أصابها لغنية ، لقد كنت في ذمة منيعة». قال : فقال عثمان :«بلى والله إن عيني الصحيحة فقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله ، وإني لفي حوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس». فقال له الوليد : هلم يا ابن أخي ، إن شئت فعد إلى حوارك، فقال : «كلا»^(١).

أسلم عثمان بن مظعون رضي الله عنه قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم ، وهاجر إلى الحبشة المحترتين ، وحرّم الخمر على نفسه في الجاهلية وقال : «لا أشرب شيئاً بذهب عقلي ، ويضحك بي من هو أدنى مني ، ويحملني على أن أنكح كريمة من لا أريد».

وشهد بدرًا وكان متعبداً ، وكانت وفاته بالمدينة في شعبان بعد مضي ثلاثين شهراً على الهجرة ، ولما دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خده وكانت دموعه تسيل عليه، وسماه النبي (السلف الصالح)^(٢) .

هذا هو الزاهد المسلم عثمان بن مظعون الذي يصوره رودينسون منافساً لمحمد ، يرجع إلى مكة على العكس أقوى إيماناً وأشد إصراراً على اتباع محمد وحبه وإيثاره له وللمسلمين على نفسه . ولو أنصف رودينسون في حكمه لعرف أن الخطر كل الخطر كان يكمن في إرسال محمد صلى الله عليه وسلم لعثمان وغيره إلى الحبشة التي كان لها دينها ونظامها المستقر وكان يمكن أن تتخذ من هؤلاء المسلمين موالين أو عملاء ، وتشترى ذمهم، وتجندهم لمصالحها وتردهم عن دينهم وتستعين بهم في ضرب الدعوة الجديدة في مهدها في مكة ، والتي ربما كانت تمثل خطراً كبيراً عليهم بالموازين السياسية، أو تقتلهم إن أبوا عليها ذلك ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ، بل على

(١) سورة ابن هشام، ج٢، ص١٤ - ١٥ .

(٢) صفة الصفوة، ج١، ص١٤٢ .

العكس فقد أسلم النجاشي ، وأسلم معه الكثير من أهل الحبشة ، وصلى عليه الرسول صلى الله عليه وسلم صلاة الجنائز في المدينة عندما سمع نبأ وفاته . لم يقف رودينسون عند حد هذا الزعم بل إنه عاد فنقضه ؛ إذ أنه عاد فشكك في صحة خبر الهجرة إلى الحبشة وما تبعها من أحداث لإسلام النجاشي وأفراد حاشيته (ص ١١٦ و ١١٧) .

الطعن في قصص القرآن والعبادات الإسلامية وموضوعات أخرى:

يعتبر رودينسون القصص القرآني كقصة يأجوج ومأجوج ، وقصة أهل الكهف وقصة موسى والخضر كلها أساطير، بل إنه يزعم أكثر من ذلك فيقول إن الإله الذي تكلم عنه محمد كانت تعرفه قريش وكانت تسميه الرحمن . ويعتبر هذا الكاتب أن محمداً قد تناقض مع نفسه ، شأنه في ذلك شأن أصحاب السلوك الباطني من النصارى والمسلمين في عرض نظرية الخلاص ، ومسألة القضاء والقدر ، والهداية والإضلال ، تلك القضايا والمشكلات الكبرى التي لم يستطع محمد حلها (ص ١٢١-١٢٥) .

ويحذو رودينسون حذو وات ، في كتابه عن محمد صلى الله عليه وسلم كني ورجل دولة ، فيزعم أن العبادات الإسلامية منتحلة من عبادات النصارى ، وأنها في نفس الوقت عبادات شكلية لا تتصل بقلوب أو سلوك العباد ، ويؤيد رودينسون هذا الزعم بقوله بأن الإسلام كان تابعا لليهودية والنصرانية من حيث شكل العبادة ، وأن المسلمين كانوا يتوجهون في صلاتهم ، كاليهود والنصارى ، نحو بيت المقدس ؛ وأنهم كأتباع الكنيسة النسطورية كانوا يصلون في أول ووسط وآخر النهار (ص ١٢٧) . وهذا خطأ فاحش من الكاتب ، فصلاة المسلمين بلا شك تختلف عن صلاة اليهود والنصارى ، وإن اتفقت من حيث الأصل والقصد مع ما جاء به الأنبياء جميعاً ، أضف إلي ذلك أن التوجه إلى بيت المقدس في الصلاة كان بأمر من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد رد الله تبارك وتعالى على المشنعين على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب تحويل القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام بحكمة بقوله تعالى : ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة ١٤٢) . وبقوله في نفس السورة والسيات : ﴿...وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعَلِّمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١٤٣) فذ نرى تقلب

وَجَهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الْأُنْذِينَ أَوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ
مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٣ - ١٤٤﴾ . وقد بين الله في
الآية التالية لهذه الآية إصرار كل فريق من أهل الأديان على التمسك بقبلته ، أو
وجهته ، وأنه لا يمكن أن يتزحزح عنها ، وأن اعتراضهم على محمد إنما كان مجرد
التشنيع ، لا من أجل التمسك بحق أو الغيرة على دين .

أكد الله تعالى في القرآن الكريم أن تحويل القبلة إلى المسجد الحرام بمكة إنما كان
بأمره سبحانه وتعالى ، وأنه هو الحق الذي أنزله على نبيه . كما أمر عز وجل المسلمين
ألا يخشوا ملامة وتشنيع أهل الباطل ، والظالمين من أهل الكتاب . وينبغي أن يكون
واضحًا في الأذهان أن توجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس في بداية
وجوده في المدينة لم يكن لغرض سياسي بقصد مجاملة اليهود أو اتباعهم ، وإنما كان
ذلك أمرًا من الله وتقديرًا لأنبياء الله الذين عصتهم اليهود أنفسهم ، ثم إن تحوله صلى
الله عليه وسلم إلى المسجد الحرام عند الصلاة إنما كان توجهًا لقبلة نبي أيضًا وهو
إبراهيم عليه السلام .

يقول رودينسون إن المسلمين قد بدأوا فيما بعد يستقلون ظاهريًا عن اليهود
والنصارى ، ويتميزون عنهم كجماعة ، وقد كانت الصلاة من أبرز سمات هذه
الجماعة الجديدة؛ وكان المسلمون يطورون تنظيمهم ويحددون علاقاتهم بالعالم
الخارجي ، وإنه حتى بعد وجودهم في المدينة لم يكن لهم اسم معروف بل كان أعضاء
هذه الجماعة - يعني المسلمين - حيث كانوا يسمون أنفسهم فقط بالمؤمنين ، وأن كل
عضو منهم كان يسمى بالمؤمن ، وقد مضى وقت طويل على ذلك حتى خضع الناس
لمحمد فسموا حينئذ بالمسلمين؛ والمسلم - يعني الخاضع لله - ولكن هذه الخصائص لم
تطبق بالضرورة عليهم فقط بل إنهم أطلقوا هذا الاسم الأخير أيضًا على أتباع الأنبياء
السابقين فسموهم مسلمين . ولم توجد هناك أية أمارة على وجود أمة منظمة
للمسلمين في المدينة ، حيث إنهم كانوا فقط يتبعون محمدًا باعتباره نبيًا يتلقى الإلهام
من الله . (ص ١٢٩).

إن رودينسون كما هو واضح يعطي تفسيرًا جديدًا لمعنى كلمة مسلم ، وتاريخيًا
جديدًا لظهور هذه الكلمة بين المسلمين ، فيجعل معنى كلمة مسلم أي خاضعًا بالقر
أو مستسلمًا لمحمد وليس لله كما يُلمح من عبارته ، فهو يزعم أن كلمة مسلم نفسها

لم تظهر إلا بعد أن أخضع محمد الناس لسلطانه بالقوة ، ولذلك فقد تأخر ظهور هذه الكلمة إلى منتصف العهد المدني تقريباً . وهذا زعم خارج على كل الحدود والمعهود في تاريخ الإسلام وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم . إن هذا الكاتب يجدف ضد محمد بلا وعي فهو يجعله رجلاً معتاداً من عرض الناس يأكل ويشرب مثلهم ، ويتزوج وينجب مثل عموم البشر ، وليست تميزه أي صفات مطبوعة أو مكتسبة ، ويزعم نفس الكاتب أن محمداً لم تكن تتوفر له موهلات النبي ، ولهذا فإنه لم يكن متوقعاً منه أن يأتي بمعجزة يؤكد بها دعوى النبوة ، حتى أنه قد تذرّع بحجة أن الله يجري المعجزة على مشيئته وحده ، وما قال محمد ذلك إلا ليداري عجزه .

إن النبي صلى الله عليه وسلم كان مؤيداً بالمعجزة كما كان مؤيداً بالوحي ، وأكبر معجزات الرسول وأبقاها هي معجزة القرآن الكريم التي تحدى الله بها الجن والإنس فرادى أو مجتمعين أن يأتوا بمثله ، كله أو بعضه فعجزوا . ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم أيضاً الإسراء والمعراج وغير ذلك من المعجزات التي لا يتسع المقام هنا لتتبعها . وفي هذه القرينة نلفت النظر إلى أن المسيح عليه السلام رفض في أكثر من موقف أن يظهر معجزة وذلك عندما كان يلاحظ تعنت السائلين ، وعلى سبيل المثال فقد جاء في إنجيل متى الإصحاح السادس عشر " وجاء إليه الفريسيون والصدوقيون ليحربوه فسألوه أن يريهم آية من السماء . فأجاب وقال لهم إذا كان المساء قلت صحو . لأن السماء حمرة . وفي الصباح اليوم شتاء . لأن السماء حمرة بعبوسة . يا مراؤون تعرفون أن تميزوا وجه السماء وأما علامات الأزمنة جيل شرير فاسق يلتبس آية . ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي . ثم تركهم ومضى " . ويعود رودينسون مرة أخرى إلى القرآن فيزعم أن إصرار القرآن ، وإصرار المسلمين على أنه نزل بلسان عربي مبين إنما يخفي وراءه حقيقة وهي أن محمداً قد انتحل من كتب اليهود والنصارى .

ويذكر مع كاتب مادة القرآن الكريم في دائرة المعارف الإسلامية بأن كلمة قرآن نفسها مأخوذة من الكلمة السريانية قريانا Qeryana ولسنا ندري كيف وصلت الكلمة السريانية إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وكيف استعمالها مع وجودها ووجود أمثالها بكل مشتقاتها في اللغة العربية .

إن هذا هو عين التنطع من رودينسون وأمثاله من المستشرقين ، ولو أننا أخذنا مجرد المشابهات الصوتية بين بعض الكلمات في سائر اللغات لوجدنا منها الكثير والكثير مما يمكن أن يمهّد الطريق لمثل زعم المستشرقين هذا في دعوى الانتحال . ولكننا بالرغم من

ذلك لا نستطيع أن نحكم على هذه اللغة بالانتحال ولا لتلك بالأصالة لمجرد وجود مثل هذا التشابه الصوتي . وأهم من ذلك كله اختلاف المعنى بين كلمة قريانا السريانية ، وكلمة قرآن العربية كما بينت في كتابي «القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي» .

يعتمد رودينسون في طعنه في صحة خبر كتابة وجمع القرآن الكريم على مقدمة ريتشارد بل لترجمته لمعاني القرآن الكريم ، والتي نشرها فيما بعد ، مع بعض تعديلات مونتجمري وات . إنه يدعى أن القرآن لم يكتب في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وأن روايات جمع القرآن متناقضة فيما بينها ، وأنها عند الفحص تؤكد وقوع التحريف في القرآن بالزيادة والنقصان . وهو هنا يوظف آيات مثل آية النسخ في القرآن الواردة في سورة البقرة ١٠٦ ، وآية النحل ١٠١ ، ﴿مَا نَسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ ، ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزَلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ، والآيات معناها واحد ، وهما في الرد على أصحاب العقول الضعيفة من المشركين الذين كانوا إذا رأوا تفسير بعض الأحكام ناسخها بمنسوخها قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنما أنت مفتر» - أي كذاب - وإنما هو الله تعالى الذي يثبت أو يبطل الأحكام ، وأنه هو الذي يضع آية مكان أخرى في أثناء التنزيل ، وليس بعد تمام الوحي ووقوع البلاغ قط . ليس هناك إذن دليل واحد يقول بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد غم ولو آية واحدة في القرآن بعد أن سطر في القراطيس أو حفظ في الصدور . ولكن رودينسون يصر مع ريتشارد بل ووات وأضرابهم على أن القرآن قد خضع لعملية تحقيق أو تنقيح كما يحدث في النصوص التي يكتبها البشر ، إن لم يكن بواسطة محمد نفسه فبواسطة بعض أتباعه ولا بد . ويعمن رودينسون في تجريد القرآن من كل ميزة ، إذ يزعم أن نظم القرآن إنما هو مأخوذ من نصوص التراتيل الكنسية السريانية ، وبالتحديد كنيسة القديس إفرانيم ، أحد آباء هذه الكنيسة .

ويؤيد رودينسون مدعاه هذا بالإشارة إلى قس بن ساعدة العربي النصراني ، الذي يقال أنه كان قسيساً ، وأنه كان يعظ في سوق عكاظ بأسلوب أدبي وشعري فائق الروعة ، وكان كلامه يدور حول الموت والبعث والحساب والجنة والنار . ويرى نفس الكاتب أن هناك من ثم مشابهة بين كلام قس وبين القرآن من حيث الموضوع ومن حيث الأسلوب ، وإن كان يشكك في نفس الوقت في وجود شخصية قس تاريخياً ، ويزعم أنها محض خيال ، وأن خطبته تلك غير موثوق بنسبتها إليه (ص ١٣١) .

وفي الرد على هذه النقطة نقول إن المفاهيم والعلوم والتعاليم التي جاء بها القرآن أوسع من أن تحصرها الكتب أو الدواوين ، ناهيك بخطبة أو مجموعة من الخطب ، كخطبة قس بن ساعدة أو شعر أمية بن أبي الصلت الديني ، أو شعر الأعشى الذي كان يهتم بوصف التقاليد والطقوس الكنسية مما لم يظهر له أثر قط في القرآن الكريم وغير هؤلاء من جهاذة خطباء العرب الأقدمين .

يشير رودينسون بعد ذلك إلى الآيات الكثيرة التي تكلمت عن أهل الكتاب - يعني اليهود والنصارى - وعن أنبيائهم ، والأحداث التي تتصل بهم والتي لم تشر من قريب أو من بعيد إلى كفار مكة كما هو المعتاد في السور السابقة، بحسب ما يراه هذا الكاتب، لا في الواقع ونفس الأمر .

ويشير أيضًا إلى بعض الفرق النصرانية ، فرقة المنوفوسيين Monophysites ، والنسطوريين Nestorians والملكائية Melkites ، ثم يقول : «لقد وقع الخلاف بين هذه الفرق قديماً حول طبيعة السيد المسيح ، وحول تحديد نوع العلاقة القائمة بينه وبين الله، والتي إذا نظرنا إليها من خارج استبان أنها فوارق غير مهمة إلى حد بعيد جداً ، وحتى أن مؤيدي هذه الأفكار لا يبدو أنهم كانوا يفهمونها كما ينبغي ، إنهم لم يؤيدوا هذه أو تلك النظرية ، وإنما أيدوا هذا أو ذاك الحزب ، أو هذه الفرقة أو تلك ، يعني هؤلاء الذين كسبوا تعاطفهم لأسباب مؤقتة أو عاجلة والتي كانت بعيدة جداً عن اعتبار الأفكار التي تحملها . وبالتالي فإن محض الكراهية للقوة أو الاستعمار الخارجي هو الذي جعل الشخصية المصرية على سبيل المثال تقف بثبات ضد بيزنطة ، وتدفع بالفلاحين المصريين في وادي النيل إلى اعتناق الاعتقاد المتعصب في الطبيعة الواحدة للمسيح . وأما بالنسبة لمحمد ، فإن هذه الاختلافات الواقعة بين ما قاله بشأن المسيحية والتي لقنها له بطريقة خاطئة بعض النصارى واليهود من غير المثقفين ممن كان قد قابلهم وتحدث إليهم، وما هو عند أهلها ليست بالاختلافات الكبيرة ، إنها لا تعدو أن تكون مثل الاختلافات بين الكاثوليكية والبروتستانتية ، أو حتى بين الفرق البروتستانتية نفسها . وإن محمداً شأنه شأن الأنبياء الذين ظهروا في إفريقيا السوداء في عصرنا الحديث كان يتخيل صوتاً يكلمه ويلقي في روعه بكلام يشبه تماماً ذلك الكلام الذي سمعه من أهل الكتاب» . (ص ١٣١ - ١٣٥) .

وهكذا فإن رودينسون يُنصّر «محمداً» صلى الله عليه وسلم - أي يجعله نصرانياً - ويُنصّر دينه زوراً وبهتاناً ، وعدواناً على الحق والعقل والتاريخ - ونعوذ بالله من

الضلال - وهو بمنطقه الغريب هذا يجعل الصواب خطأ والخطأ صواباً ، فهو يتكلم عن المسيحية برقة غير معهودة عند اليهود ، ويتجاهل الموقف العدائي التاريخي لليهود من النصرانية والنصارى ، بل من المسيح نفسه وأمه عليهما السلام . وهو يجعل الاختلافات بين الفرق النصرانية التي بسببها أريقَت الدماء وتناثرت الأشلاء وتفرقت الناس شيئاً متناحرة ، اختلافات بسيطة وغير جوهرية ، ويجعل الخلاف بين الإسلام وبين النصرانية كاختلاف بين الكاثوليكية والبروتستانتية ، أو بين الفرق المتفرعة عن الفرقة الأخيرة الأم!! وما ذلك اليهت إلا لكون اليهودي الفرنسي يعتبر الإسلام فرقة وليس ديناً، ويعتبر النبي صلى الله عليه وسلم واحداً من هؤلاء الأنبياء الكذبة الذين ظهروا في إفريقيا السوداء في العصر الحديث. أضف إلى ذلك عداوة هذا الكاتب الماركسي للأديان بشكل عام وعداوته الشديدة للإسلام بوجه خاص .

إن رودينسون بهذا يتصور أنه قد هدم الإسلام وطرح محمد عليه السلام بعيداً عن الوجود وأراح من ثم اليهود وما ذاك إلا لأن الإسلام هو الذي وصف اليهود فأبلغ في وصفهم ونبه الناس على خطرهم وعداوتهم المؤكدة للبشرية ولهداتها ومصالحها على وجه الخصوص .

ولسنا ندري كيف يسوي رودينسون بين زعماء الفرق النصرانية وبين خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم . ليس هذا فحسب ولكنه يتدنى أكثر فيسوي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الأنبياء الكذبة الذين ظهروا في إفريقيا في العصر الحديث ، والذين لم يسمع بهم أحد غيره وأمثاله من الكتاب العنصرين. إن التاريخ لم يسجل لهؤلاء الأنبياء الكذبة أي أثر نافع، أو دعوة صالحة.

كيف وأن المنصفين من الغربيين قد بهرتهم أخلاق محمد وأعجبتهم خلائقه وأفعاله وأثره العظيم في التاريخ الإنساني ، وفي بناء الحضارة الراقية التي انتفعت بها البشرية دون تمييز، ونهلت منها وعبت كل شعوب الأرض دون تفرقة، قال الفيلسوف الروسي تولستوي تحت عنوان «من هو محمد؟» (إن محمداً صلى الله عليه وسلم هو مؤسس ورسول الديانة الإسلامية التي يدين بها في جميع جهات الكرة الأرضية مائتا مليون نفس) - على وقت تولستوي - ثم قال : (ولد النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - في بلاد العرب سنة ٥٧١ بعد ميلاد المسيح عليه السلام من أبوين فقيرين ، وكان في حداثة سنه راعياً يرعى الغنم ، وقد مال منذ صباه إلى الانفراد في البراري والأماكن الخالية حيث كان يتأمل في الله وخدمته - أي طاعته - إن العرب المعاصرين له

عبدوا أرباباً كثيرة وبالغوا في التقرب إليها واسترضائها فأقاموا لها أنواع التعبد وقدموا لها الضحايا المختلفة ومنها الضحايا البشرية ومع تقدم سن محمد كان اعتقاده يزداد بفساد تلك الأرباب وأن ديانة قومه ديانة كاذبة وأن هناك إلهاً واحداً حقيقياً لجميع الشعوب.

وقد ازداد هذا الاعتقاد في نفس محمد حتى اعتزم أن يدعو مواطنيه إلى الإيمان باعتقاده الصحيح الراسخ في فؤاده. ثم دفعه إلى ذلك عامل داخلي وهو أن الله اصطفاه لإرشاد العباد وعهد إليه بهدم ديانتهم الكاذبة وإنارة أبصارهم بنور الحق فأخذ من ذلك العهد ينادي باسم الواحد القهار، وذلك بحسب ما أوحى الله إليه وبمقتضى اعتقاده الراسخ).

وقال جيمس متشنر المؤرخ الأوربي المعروف :

(إن محمداً رسول الإسلام - صلى الله عليه وسلم - هذا الرجل الملهم الذي أقام الدين الإسلامي، ولد حوالي سنة ٥٧٠ من الميلاد، في قبيلة عربية كانت تعبد الأصنام، وكان محبباً للفقراء والأرامل واليتامى والأرقاء والمستضعفين، وقد أحدث محمد بشخصيته الخارقة للعادة ثورة في شبه جزيرة العرب وفي الشرق كله، فقد حطم الأصنام بيديه وأقام ديناً يدعو إلى الإيمان بالله وحده، كما رفع عن المرأة قيد العبودية التي فرضتها عليها تقاليد الصحراء.

وقال البروفيسور جارسون دي تاس، في كتابه «الإسلام» : إن محمداً رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام ولد في حضن الوثنية، ولكنه منذ نعومة أظفاره أظهر بعبقريته فذة انزعاجاً شديداً من الرذيلة، وحباً قوياً للفضيلة، وإخلاصاً ونية حسنة غير عاديين، إلى درجة أن أطلق عليه مواطنوه في ذلك العهد اسم الأمين.

ولقد أهاب الفيلسوف الإنجليزي توماس كارليل في إحدى محاضراته عن محمد كبطل ونبي، والتي طبعت ضمن كتابه الأبطال وعبادة البطولة، بيني قومه من الإنجليز، والأوربيين أن يتوقفوا عن الترويج للكذب ضد محمد صلى الله عليه وسلم ومن أقواله : «لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متمدن أن يشيع أو أن يصغي إلى ما يشاع من أن محمداً كان كذاباً، كيف يستطيع كذاب لعمرى أن يبني أمة تمتد من المحيط إلى المحيط، وتنتثر به وتجه إلى هذا الحد. إن الكذب يهدم ولا يبني إلى آخر كلامه، ولقد اعتبر هذا الفيلسوف العظيم محمداً أعظم شخصية في التاريخ بلا منازع . ولو ذهبنا نقتبس من أقوال هؤلاء الغربيين المنصفين لأطلقنا الحديث، ولكننا نكتفي

بهذه الأمثلة ، على أنه مما ينبغي أن نلفت النظر إليه أن هؤلاء العلماء الغربيين قد أسلم بعضهم وحسن إسلامه، واكتفى البعض منهم بمجرد إبداء الإعجاب بشخص النبي صلى الله عليه وسلم وتوقف عند هذا الحد .ولو أن هؤلاء قد تقدموا بخطوة فاعتنقوا هذا الدين بقلوبهم كما أدركوا عظمتهم بعقولهم لتغير تاريخ العالم وأصبح للإسلام في أوروبا والغرب شأنًا آخر، ولقلت هذه الحدة وسوء الفهم اللتان تتسم بهما العلاقة بين المسلمين والغربيين.

رودينسون ومعاهدة المدينة :

يخذ رودينسون حذو سلفه مونتجمري وات في التشكيك في وثيقة المدينة التي أبرمها الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأول مرة في تاريخ السياسة الدولية ، مع اليهود إقرارًا للمعاني الأخوة الإنسانية والوحدة الوطنية مع الاعتراف الكامل بالحرية الدينية ، وحرية التعبير عن النفس ، يقول المستشرقان بأن هذه الوثيقة ليست كلها أصلية ، بل إنها تعرضت للإضافة فيما بعد ولكن رودينسون على أي حال يعتبر الوثيقة صحيحة تاريخيًا لأنها تحتوي - كما يزعم - على بنود معارضة لوجهات النظر الخاصة بأصل الدولة الإسلامية والتي ألحقت بها فيما بعد . ومع هذا فإنه يقرر بشجاعة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد استطاع بحكمته أن ينشر الإسلام ويعقد الأخوة بين سكان المدينة ، وأنه لم يضطهد اليهود . وأن القرآن الذي نزل بالمدينة قد تكلم باحترام عن اليهودية وعن أنبياء بني إسرائيل ، كما أنه أباح للمسلمين أكل طعامهم ، ومشاركتهم في الأمور المدنية (ص ١٥٢-١٥٩) .

ولكن رودينسون سرعان ما يرتد على عقبه إلى المنطقة الوحلة ليخوض فيها ويوغل في الخوض إذ يقول أن اليهود لم يرضوا عن محمد لأنهم كانوا يعتبرونه نبيًا كذابًا اتحل كتبهم وحرف قصص أنبيائهم التي وردت في الكتاب المقدس ، وأن اليهود لم يستطيعوا السكوت عن إعلان هذه الحقيقة مقابل الحياة السياسية الهادئة بل إنهم نارعوا محمدًا ، إذ هاجموا القرآن وأعلنوا أنه معارض لكتب الأنبياء ، وأنه ملي بالتناقضات ، ومثل هذا الموقف حمل محمدًا بفكر بلا شك في تغيير سياسته تجاه اليهود واتخاذ موقف آخر مخالف تمامًا منهم (ص ١٦١) .

هذا كلام فوق أنه مناقض لما سبق أن قاله رودينسون بشأن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم فإن فيه اعترافًا بأن اليهود هم الذين بدعوا بالهجوم على الإسلام وبتناوئة المسلمين ، وهم الذين خرجوا على معاهدة المدينة .

ويستعرض رودينسون ما جاء في سيرة ابن هشام عن غزوة بدر مركزاً على ما قاله سلمة بن سلامة للمسلمين الذين خرجوا لاستقبال العائدين من بدر وتهنئتهم بالنصر كما سنذكره ، متخذاً منه موقفاً مأساوياً يصور فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين كمصاصي دماء ، قتلة وسفاحين .

إنه يترجم كلام سلمة من العربية إلى لغته الفرنسية بطريقة توحى بأن المسلمين دمويون يقول بحسب الترجمة الإنجليزية : «لماذا تهنتونا ، إننا لم نقابل إلا عجائز صلحاً (يقصد المشركين) لقد قطعنا حلوقهم كما تنحر إبل الأضاحي ، وهي معلقة من أرجلها ، فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : «نعم يا ابن أخي هؤلاء كانوا هم الزعماء» .

والترجمة كما نوهت ، توحى بأن المسلمين قد علقوا الكفار من أرجلهم أحياء ثم ذبحوهم بطريقة وحشية . أما الحديث كما جاء في سيرة ابن هشام فمختلف كثيراً عما جاء في الترجمة الإنجليزية والنص هو : « ... ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهتونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين ، فقال لهم سلمة بن سلامة ، كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، ويزيد ابن رومان - : ما الذي تهنتونا به ؟

فوالله إن لقينا إلا عجائز صلحاً كالبدن المعلقة ، فنحرناها ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : أي ابن أخي ، أولئك الملائ !!

قال ابن هشام : الملائ : الأشراف والرؤساء^(١) . ومعنى هذا الكلام الذي غاب فهمه على المستشرق رودينسون وأمثاله هو أن المعركة قد انتهت بسرعة ولم يكن الوقت الذي استغرقته إلا كالوقت الذي يستغرقه ذبح بدن الأضاحي المعدة بالفعل للذبح ، وأن الله تبارك وتعالى هو الذي أعان المسلمين على قتل أئمة الكفر ، وقادة الحرب الظالمة ضدهم ، إن قتل هؤلاء الكفرة إنما جاء بأمر الله وتوفيقه في وقت لو تمكنوا هم فيه من المسلمين لأبادوهم ولقضوا من ثم على الإسلام من على وجه البسيطة . لقد كان هؤلاء الكفار هم المحرضون على الحرب ، الساعون إليها بخيلهم ورجالهم ونسائهم فأذاهم الله وبال أمرهم ، فلقوا مصرعهم بأيدي الذين حقروهم ، وطاردوهم ، ولاحقوهم واستولوا على أمتعتهم وأموالهم ظلماً وعدواناً .

(١) سيرة ابن هشام ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ .

بضيف رودينسون إلى ذلك ما جاء بشأن قتل عقبة بن أبي معيط حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله فقال : فمن للصيبة يا محمد ؟ قال : النار. (٢٠٨) يقول في التعليق على هذه الحادثة أن محمداً لم ينس ما فعله به أعداؤه فلم يرحمهم عندما تمكن منهم . يقصد الكاتب بالطبع من هذا الكلام ، أن يظهر النبي صلى الله عليه وسلم في صورة المنتقم الحاقداً ، الذي لا يستطيع أن يعفو عن ظلمه أو يسامح من آذاه . إن تسامح النبي صلى الله عليه وسلم وحلمه لمضرب الأمثال حقاً ، ولكن مسامحة أهل الشر الذين طبعوا على الأذى ، ولا ترجى من شرورهم السلامة كعقبة بن أبي معيط ، عدو الله ورسوله ، وصاحب التاريخ الطويل في الكفر والخساسة ، لا يكون تسامحاً بل تساهلاً وتفريطاً في الحق ، وتهاوناً في صد الباطل وأهله ، وتهاوناً كذلك في حماية الضعفاء من الأقوياء وذوي الحيلة . أما التسامح مع من يرحى إصلاحهم فخلق كريم مثله رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن تمثيل عندما فتحت له مكة أبوابها ، وخضع له أهلها ، وقال لهم وقد توقعوا منه أن ينتقم منهم نفسه ولأعزة أهله وللمسلمين لكنه قال لهم ما حفظه التاريخ عنه ووعاه ثم أداه إلينا «اذهبوا فأنتم الطلقاء» ، وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل عدد محدود من رعوس الكفر والشر والعدا ، فإنه قد تسامح بالفعل مع أمة عظيمة من الناس في مكة ، وكان تقديره صلى الله عليه وسلم في الموقفين نعم التقدير ، وتدبيره في كلتا الحالتين هو أعظم التدبير ، كما كان حكمه فيهما هو عين الحق والصواب .

يزعم رودينسون بالإضافة إلى هذا أن محمداً ، والذي يسميه هنا «بالنبي المسلح» ، قد أصبح بعد انتصاره في بدر ميالاً إلى الانتقام من أعدائه وإلى تصفية المعارضين له بدنياً ، لقد أعطته هذه الحرب قوة وثقة في النفس ، وعلى الجانب الآخر فقد أصبح أيضاً حساساً جداً لأي هجوم عليه ، لذلك فإنه لم يتحمل هجوم مثقفي اليهود في المدينة وسخريتهم الدائمة منه ، ولهذا السبب فإنه أظهر العداء لهم وبدأ يخطط للتخلص منهم فكان يخالفهم في كل شيء تقريباً ، فعلى سبيل المثال فإنه بعد أن أمر أصحابه بصيام يوم عاشوراء وهو العاشر من شهر محرم ، وهو يوم كيبور عند اليهود ويوافق العاشر من شهر تشرين - أكتوبر - عاد فغير رأيه وذلك عندما غضب على اليهود ، إذ جعل صيامه مباحاً وليس واجباً ، بل إنه قد أوصى المسلمين بأن يخالفوه فيه ، بمعنى ألا يصوموا في نفس اليوم فقط ، بل يتقدموه بيوم أو يتأخروه بيوم^(١) .

(١) الشوكاني، نيل الأوطار، ج٤، ص ٢٤٠ - ٢٤٥ .

وفي قرينة الرد على رودينسون ينبغي أن ننبه على أن صوم عاشوراء على وجه الخصوص كان الأمر به في أول السنة الثانية للهجرة ، وفي نفس السنة فرض شهر رمضان ، فعلى هذا لم يقع الأمر بصوم عاشوراء إلا في سنة واحدة ، ثم ترك أمر صيامه إلى المتطوع ولذلك صار صيامه تطوعاً وليس واجباً ، ويقال أنه لم يكن واجباً قط ، ومن الأحاديث الواردة في فضل يوم عاشوراء سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الصيام بعد رمضان أفضل قال : «شهر الله المحرم» . (رواه الجماعة إلا البخاري عن أبي هريرة) ، وعن أبي قتادة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبلة ، وصوم يوم عاشوراء يكفر سنة ماضية» . (رواه الجماعة إلا البخاري والترمذي) .

وعن عائشة قالت : «كان يوم عاشوراء يوماً تصومه قريش في الجاهلية . وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصومه ، فلما قدم المدينة صامه وأمر الناس بصيامه ، فلما فرض رمضان ، قال : من شاء صامه ومن شاء تركه» . (متفق عليه) .

وعن أبي موسى قال : كان يوم عاشوراء تعظمه اليهود وتتخذونه عيداً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «صوموه أتم» . (متفق عليه) .

ومما استدل به على عدم وجوب صيام هذا اليوم ما روي عن معاوية بن أبي سفيان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «إن هذا يوم عاشوراء ، ولم يكتب عليكم صيامه وأنا صائم فمن شاء صام ومن شاء فليفطر» . (متفق عليه) .

وقال عليه الصلاة والسلام : «صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود ، صوموا قبله يوماً وبعده يوماً» .

ثم يعرض الكاتب بعد ذلك لواقعة بني قينقاع التي أشعل اليهود نارها وتولوا كبرها عندما كشف أحدهم عورة مسلمة كانت تشتري من محل صائغ يهودي فثار أحد المسلمين وحاول أن ينتقم للمرأة فقتله اليهود لأنه كان في حبيهم ، فاتخذ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الأسباب لمعاقبة يهود هذا الحي ، يقول رودينسون : «أن محمداً قد اتخذ هذه الحادثة ، التي كان يمكن أن تحل بغير الحرب ، ذريعة إلى تصفية اليهود ، إذ أنه أصر على حرب بني قينقاع وحصارهم وتجويعهم داخل الحصن الذي لجأوا إليه» . (ص ١٧٢-١٧٣) ، وعلى هذا المنوال المنحاز يعرض رودينسون الحوادث التي وقعت بين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبين يهود المدينة .

لقد تناقض الكاتب مع نفسه عندما ذكر في أول الباب أن محمداً لم يضطهد اليهود، ولكنه يزعم هنا أنه قد رسم خطة لتصفيتهم. هذا هو أكبر وأهم الدوافع من وراء تأليف رودينسون لهذا الكتاب الذي بين أيدينا لأنه أراد به أن يبين للأوربيين أن محمداً قد اضطهد اليهود ، وأنه نفاهم من الأرض وحردهم من ممتلكاتهم وحكم فيهم بالقتل والتزويج وذلك حتى يضيف إلى سجل المبالغات اليهودية حوادث وأرقاماً أخرى ملفقة . إن الدعاية اليهودية تحاول أن تصور العالم كله على أنه معاد لليهود ، وعلى أن اليهود مضطهدون دائماً عبر العصور وعلى امتداد العالم . لقد تغافل الكاتب أن اليهود هم الذين نقضوا العهد ، وأخلوا بشروط المعاهدة المبرمة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي اعترفت لهم بحق المواطنة الكاملة وبحرية العقيدة وما يتصل بها ، وكانوا هم الذين تعاونوا مع أعداء الإسلام في الخارج وحاولوا ضربه في الداخل وهم الذين قادوا حركة المنافقين ضد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة . وبالرغم من هذا كله فإن النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك المسلمين لم يسبوا أنبياءهم أو يتهموا على كتبهم أو معتقداتهم بل ظلوا يحترمون ذمتهم ويوفون بعهدهم معهم ويقفون بجانبهم عند المحنة ، كما حدث عندما اضطهدهم الكاثوليك في أسبانيا ، وأغلقت أوروبا أبوابها دونهم، فقد استقبلهم العالم الإسلامي كله ، ووطنهم وتعامل معهم تحت مبدأ ، «لهم ما لنا وعليهم ما علينا». وبفضل سماحة الإسلام ظهرت منهم قيادات عظيمة وعلماء وفقهاء وفلاسفة كبار.

اتهام رودينسون للعرب بالشهوانية :

تكلمنا فيما سبق عن تفسير رودينسون المفرض لحادثة الإفك ، كما ألمحنا فيما سبق كذلك إلى مغامزه المتفحشة حول سلوك الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحرصه دائماً على أن يصور العرب بشكل عام بأنهم أمة لا يشغلها أي شيء أكثر من الانغماس في الشهوات ، وأنهم لا يتميزون من بين الأمم إلا بالتسيب الجنسي ، وتأكيذاً منه لهذه القرية فإنه عندما يعرض لقضية الإفك - يعني تلك التهمة الباطلة التي زورها ودورها فريق من الأميين ضد السيدة عائشة بنت الصديق وزوج الصادق الأمين- يعرضها في إطار أو سلسلة من الأكاذيب التي تصف العرب بالميل إلى الزنا والسفاح والانغماس في الشهوات والملذات ، وفي هذا الموضع من الكتاب يقتبس رودينسون ما قاله كارلو ليفي عن فلاحو لوكانيا : «إن حب الجنس أو الميل إليه

والانجذاب الشديد نحوه يعتبره قرويو لوكانيا قوياً كقوة الطبيعة ، تلك القوة التي لا يستطيع أحد مقاومتها مهما كانت مقدرته ، عندما يرى رجل وامرأة نفسيهما في مكان واحد معاً ، ودون رقيب ، فإنهما لا يمكن أن يبقيا هكذا دون أن يرمي أحدهما في حوض الآخر في الترو والحال؛ لأنه لا يوجد أي قدر من الثبات أو الخمود ، أو العفاف أو أي مانع أو أي عقبة يمكن أن تمنعهم من ارتكاب عملية الزنا . وإذا حدث لأي سبب أنهم لم يتمكنوا من الالتقاء جنسياً ، فإنهم يشعرون وكأنهم ارتكبوه بالفعل . لأن مجرد وجودهما معاً في مكان واحد دليل في حد ذاته على أنهما قد مارسا الجنس معاً (ص ٢٠٠).

إننا لا نحب أن نطيل الكلام في هذا الموضوع أو نتبع غمزات ولمزات هذا الكاتب الذي يستسهل الخوض في أعراض النماذج الإنسانية الرفيعة ، وقادة الطهر والفضيلة في العالم . وما أسهل عليه وعلى أمثاله أن يجعل الجنس هو سبب الخلق والبقاء وهو نداء الطبيعة ، وهو المحفز على الابتكار والإبداع إلى آخر تلك المفتريات التي تكتظ بها جمعته . ويكفي أن يعرف بشكل عام من خلال ما ذكرناه كمثال كيف تناول الكاتب حادثة الإفك وفي أي قرينة وضعها ، ولأي غرض يوظفها .

ويعمن رودينسون أكثر في زعمه إذ يقول بأنه انطلاقاً من هذه الحادثة - يعني اتهام السيدة الطاهرة عائشة - قد جاء محمد بتعاليم تطالب بأربعة شهود لإثبات دعوى الزنا، وهو شيء يستحيل حدوثه . وهو يغمز بهذا إلى أن القرآن إنما هو من تأليف محمد وأن محمداً كان يكتبه ليبرر به أفعاله ، أو ليعبر به عن أشياء في نفسه يعطيها قوة وحجية بإسنادها إلى الله ، بعبارات أخرى فإن الآيات التي نزلت بشأن حادثة الإفك لفقها رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبرئة زوجه السيدة عائشة . وما ذكرناه بشأن هذه الحادثة يكذب دعاوى هذا المتحرى.

وفاة النبي صلى الله عليه وسلم :

يحتتم رودينسون الباب السادس من كتابه ، بالكلام عن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وما حدث بين الصحابة على أثرها في سقيفة بني ساعدة من خلاف في الرأي وكالعتاد فإنه يقرأ السيرة بمنظوره الخاص والمعتم ويجاول دائماً أن يصبغها بأرائه ورؤاه الشخصية وينزلها على منطقته هو ليتهاي من خلال عرضها إلى النتيجة التي رتبها مسبقاً، بل وكانت هي الدافع من وراء تأليفه لهذا الكتاب وكتبه الأخرى التي تناول فيها الإسلام . وهذه النتيجة تلخص في أن محمداً يعتبر نبياً محلياً وأنه مؤسس فرقة لا

دين ، وأن مادة القرآن ، منتحلة من كتب اليهود والنصارى ، بل وأن القرآن متأثر بأناشيد وتراتيل الكنيسة السريانية في أسلوبه وربما في طريقة أدائه (ص ٢٩٠ - ٣٠٠).

ودون الدخول في التفاصيل والأضاليل الأخرى التي يشتمل عليها هذا الباب من الكتاب فإن رودينسون لم يبد موضوعياً في عرضه وتحليله معاً ، إنه يجهل اللغة العربية ولم يعتمد إلا على مصادر ثانوية .

محمد في نظر الغربيين المحدثين :

وفي الباب السابع والأخير من كتابه وهو بعنوان «الانتصار على الموت» .. يتحدث رودينسون عن انتصار دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وعن انتشار الإسلام في الآفاق بسرعة وعن إقبال الناس عليه ، وعلى حب المسلمين للنبي صلى الله عليه وسلم وتقديس آثاره . وعلى انتشار القرآن في الأصقاع وإقبال الناس على حفظه ودراسته ، وعلى تبني هذه الشعوب الغفيرة للغة العربية وهجر لغاتهم الأم ، ومن جهة أخرى فإنه يشير إلى مواقف النصارى منه صلى الله عليه وسلم فيقول : «بينما يقلس المسلمون محمداً (صلى الله عليه وسلم) فإن النصارى يعتبرونه أكبر الأعداء ، وزعيم الأعداء ويرون فيه كذلك نموذجاً متحسداً للشر والفسوق . وبينما يعتبر المسلمون محمداً أكمل رجل في التاريخ، يعتبره بعض الناس من غير المتدينين بدین ، أو من المتدينين بغير الإسلام رجلاً معتاداً ، عاش عيشتهم وعمل بمثل عملهم ، وقد أعطى علماء الغرب لمحمد عدة صور مختلفة ، فالكونت دي بولنغليز كان يعتبره مفكراً حراً مبدعاً لديانة العقل ، وذلك في أوائل القرن الثامن عشر . وقد اتخذ فولتير محمداً كسلاح ضد المسيحية عن طريق إعطائه شخصية دجال ساحر، ولكنه بالرغم من ذلك قد استطاع أن يقود أمته إلى طريق المجد ، وذلك بمساعدة قصص خيالية نسجها لهم من وحي خياله. ولقد اعتبره كتاب القرن الثامن عشر بشكل عام داعية لديانة الطبيعة والعقلانية ، والتي هي أبعد بكثير وأسمى من ديانة الصليب المجنونة. وقد مدحت محمداً صلى الله عليه وسلم ونوهت بعلو قدره الأكاديميات الغربية فالشاعر الألماني جوته على سبيل المثال قد كتب فيه شعراً رائعاً وممتازاً ، واعتبره مثلاً أو نموذجاً للعبقرية الفذة ، وقارنه في شعره بنهر عظيم ومتدفق دائماً بقوة ، ذلك النهر الذي نادى عليه جميع أخواته من الأنهار والجداول ليساعدها حتى تبلغ البحر الذي ينتظر قدمها عليه. وفي هذا الشعر يقول جوته أيضاً إن محمداً هو المظفر الملكي المهيب الذي لا يقاوم

ولقد كان هو الذي حمل تلك الأنهار والجداول إلى مجرى البحر العظيم .

Und so tragter seine Bruder,
Seine Schatze, seine kinder
Dem erwartenden Erzeuger
Freudebrausend an das Herz.

(And thus he carries his brothers, his treasures, his children, all tumultuous with joy, to their waiting Parent's bosom. [Trans., Dr David luke])

وتعني هذه السطور الشعرية في اللغة العربية : « وهكذا حمل (أي محمد صلى الله عليه وسلم) إخوانه ، وكنوزه ، وأطفاله ، وكل مضطرب بفرح ، إلى حجور الآباء التي كانت تنتظرهم». ولقد وضع الفيلسوف الإنجليزي (كارليل) هذه النفس العظيمة في مصاف أبطال الإنسانية الذين أضاعت بهم الدنيا وأومضت في داخلهم الشملة الإلهية المقدسة .

وبعد كارليل عكف الكتاب الغربيون المعنيون على كتابة سيرته (صلى الله عليه وسلم) من مصادرها العربية فعلى سبيل المثال فقد اعتوره المستشرق هوبرت جريم ، في نهاية القرن التاسع عشر اشتراكياً حاول أن يفرض الإصلاح الاجتماعي والمالي على قومه بالقوة ، وذلك بمساعدة قدر يسير جدًا من الحكايات الأسطورية ، والتي اخترعها محمد للزهب بها الأغنياء ، حتى يعطوه تأييدهم .

وبينما يحاول بعض المستشرقين أن يخففوا من حدة لهجتهم ويعدلوا من وجهة نظرهم لتصبح إلى حد ما أكثر موضوعية ، نجد الأب اليسوعي البلجيكي هنري لامنز ، ~~والذي~~ كان له إلمام واسع بالمصادر الإسلامية ، مع كراهية قاتلة للإسلام ، لا يزال يعتر عن شكه المرير في إخلاص محمد .

أما المستشرقون والعلماء الروس فإنهم لم ينتهوا بعد إلى رأي قاطع يقررون فيه طبيعة دعوة محمد ، هل كان محمد رجعيًا أم تقدميًا ؟ (وبالطبع فقد سقط الاتحاد السوفيتي وسقطت الشيوعية) هل كان قوميًا أم اشتراكياً ؟ ، وحتى الشيوعيون في البلدان الإسلامية كانوا يدعون محمدًا لأنفسهم، ويحاولون جذب دعوته نحو أهدافهم ، وهكذا فقد صور كل واحد من هؤلاء محمدًا كما يراه وكما يرغب فيه أن يكون ، كل واحد قد أخذ من دعوته ما يناسب فكره وتوجهاته ، وفي الوقت نفسه فإنه لا يلتفت إلى ما لا يعنيه منه (ص ٣١١ ، ٣١٢) .

الخاتمة

وإلى هذا الحد نعتبر أننا قد وصلنا إلى الخاتمة في عرض ونقد كتاب مكسيم رودينسون وإذا كان لنا أخيراً أن نصف هذا الكتاب بكلمة مختصرة قلنا إنه كتاب غير موضوعي وأنه يتم بوضوح عن حقد صاحبه على الإسلام والمسلمين وعلى جهله باللغة العربية ، ومصادر السيرة الصحيحة . وأن رودينسون قد استعان في هذا الكتاب بمعطيات علم النفس الغربي الإلحادي على ترويج أفكاره الزائفة حول الرسول صلى الله عليه وسلم وحول رسالته العالمية الخاتمة .

لقد بينا بالأدلة الساطعة والقاطعة أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو المثل الأعلى للبشرية ، وأنه كان ولا يزال أعظم شخصية عرفها التاريخ الإنساني كله . لم تشغله صلى الله عليه وسلم عن الدعوة والمبادئ المثلى شهوات أو مغريات ، ولم يكن للمرأة إلى قلبه صلى الله عليه وسلم من سبيل غير السبيل الذي شرعه الله تبارك وتعالى . لقد اكتملت كل صفات العظمة والكمال في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم . لم يكذب النبي قط ولم يدع ما ليس له أبداً . وقد بينا خطأ رودينسون في خلطه بين مفاهيم النبوة والكهانة والشعر ، وبرهنا على أن النبوة تختلف عن الكهانة وأن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن كاهناً ولا شاعراً وإنما كان نبياً رسولاً ، بنى دين الله على الحق والصدق ، وأنشأ الأمة الإسلامية على دعائم التوحيد والأخلاق الفاضلة ، والتشريعات العادلة ، وعلى المحبة والإيثار والتسامح والأخوة التامة بين المسلمين بعضهم وبعض ، وبين المسلمين وغير المسلمين . وقد أوضحنا بالأدلة أن القرآن هو كلام الله تعالى تلقاه محمد وبلغه كما نزل ، لم يتدع فيه حرفاً ولا عبارة ، لم يحدف منه شيئاً ولم يضيف إليه شيئاً كذلك ، ولم يغير في نظامه أو سياقه وترتيبه ، سواء بالنسبة للآيات أو السور ، وأن كتابة القرآن ، على ما تسنى من أدوات قد تم في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، و أنها كانت مواكبة لنزوله فقد ذكرنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد اتخذ كتاباً للوحي ، كان يملي عليهم ما نزل عليه من كتاب الله تعالى ، دون توان أو إهمال وأنه كان يطلب من كتاب الوحي أن يقرأوا عليه ما كتبه زيادة منه صلى الله عليه وسلم في الاستيثاق .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحتفظ عنده بما كتبه الكتاب حتى اكتمل نزول القرآن وتم الكتاب ، ومن هذه المواد المفرقة جمع القرآن الكريم ووضع في نسخة من مادة واحدة ، وهي الورق وذلك في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ثم في مصحف إمام في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وقد روعيت في كتابة هذا المصحف قراءة العرضة الأخيرة. وقد تم الجمع في كلتا الحالتين بمعرفة الصحابة واتفاقهم ، ومهما كان وضع الروايات الضعيفة التي تهاون بعض العلماء في إثباتها في كتبهم عند الكلام عن جمع القرآن ، فإن الحكم الأكبر الذي لا ينبغي أن يغفل أو يتغافل عنه في موضوع جمع القرآن هو حفظ الأمة له وتعبدهم به واحتكامهم إليه في جميع شئونهم ، وتأسيس الدولة على قاعدته . والروايات كثيرة في أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الصلاة بالسور الطوال والسور القصار ، وأنه كان يأمر بوضع الآية في السورة بحسب توقيف جبريل له عليهما السلام ، وكذلك الشأن بالنسبة لترتيب السور ومما ينبغي الإشارة إليه أن الصحابة كانوا يحفظون القرآن عن ظهر قلب ويتعبدون به ويقرعونه آناء الليل وأطراف النهار .

وبناءً على هذا كله يتبين بجلاء بطلان دعوى رودينسون وأشباعه من المستشرقين بأن محمدًا صلى الله عليه وسلم انتحل مادة القرآن أو أسلوبه أو ألفاظه ، من كتب اليهود والنصارى أو كتب غيرهم ، وقد بينا بالبرهان القاطع أن هذه الدعوى لا يؤيدها واقع البيئة العربية التي عاش فيها محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا تاريخ كتب اليهود والنصارى التي لم تترجم إلى اللغة العربية إلا بعد قرون من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . ولا يقل عن هذا أهمية أن نستحضر في الذهن أن دعوى الانتحال المزعوم تتنافى مع طبيعة شخصية النبي صلى الله عليه وسلم وتكوينه ورسالاته .

لقد راعى محمد صلوات الله وسلامه عليه في دعوته حق الله وحق العباد ، وأبان ورتب لكل ذي حق حقه ، ولم يبن مجتمعاً على الحقد أو العنصرية بل على العكس تمامًا فإنه قد أعطى للمخالفين له الحق في أن يخالفوه ، وفي نفس الوقت يعايشونه ويعاملهم ويعاملونه دون حساسية أو حرج أو توجس بسبب اختلاف الدين أو الجنس أو العرق أو اللون أو اللغة ، ولذلك فإن التشريعات الخاصة بأهل الذمة تعد سبقاً ومكرمة للإسلام ومنة منه وفضلاً على الإنسانية كلها وليست كما يدعي متعصبو الغرب عيباً أو نقصاً في تعاليمه أو تعصباً من جهة أهله .

وأخيراً وبناءً على الدراسة المستفيضة فإنه من الصعب تصنيف كتاب محمد

لرودينسون تصنيفاً علمياً ومنهجياً واضحاً ، فإنه ليس كتاب تاريخ لأنه لا يعتمد على حقائق تاريخية من مصادرها الأصيلة في التاريخ الإسلامي ، وليس هو كتاب في السيرة النبوية لأنه لم يلتزم بمصادرها ومعطياتها . وليس هو كتاب علم نفس لأنه لم يلتزم بمنهج علم النفس ولا راعى حدوده ، ثم إنه طبقه بطريقة صناعية على نموذج لا يتكرر وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي لا يمكن أن يصنف ضمن عينات أو مجموعات وقوائم علم الدراسات النفسية .

والكتاب لا يمكن أن يصنف كذلك على أنه قصة أو رواية لأن كاتبه لم يلتزم أساساً بأصول الرواية أو القصة ومعايرهما الفنية ولا نراه قصد إلى ذلك .

وخلاصة ما انتهينا إليه في هذا الكتاب ، أن كتاب رودينسون خليط سيئ من الآراء والأفكار ، والتفسيرات المادية الباطلة لنصوص الكتاب والسنة ، والتشويه المتعمد والمغرض لحقائق التاريخ .

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين .

الدكتور محمد محمد أبو ليلة

أرض الجولف . مصر الجديدة . القاهرة

ملخص باللغة الإنجليزية
عن كتاب رودينسون والمشكلة التي أثارها
في الأوساط العلمية في مصر

The American University in Cairo has dropped from its curricula a book entitled Mohammed, written by Maxime Rodinson, because of charges that it makes false allegations against the prophet of Islam. Copies of an English-language summary that were distributed to students have also been withdrawn following a decision taken by Higher Education Minister Moufid Shehab. Shehab ordered the book thrown out after columnist Salah Montasser published an article in Al-Ahram on 13 May demanding that the book be banned. "We cannot remain with folded arms when a university in Egypt, even if it is a foreign university, teaches Muslim students a book that insults their creed and Holy Book. This is neither acceptable nor justifiable." Montasser wrote that "freedom of education does not mean that thousands of books are ignored in favour of a book that insults Islam." Montasser reproduced excerpts from the book to show that it does injustice to the religion. The mufti of the republic also published an article in the Arabic-language press, providing documentation refuting Rodinson's allegations. Moreover, Sheikh Mohamed Sayed Tantawi, grand imam of Al-Azhar, suggested that a law be enacted to empower Al-Azhar, the world's leading Islamic institution, to examine all books dealing with Islam before they are circulated in Egypt. "It is imperative to promulgate this law in order to uphold Islam and its tenets," said Tantawi. Shehab told Al-Ahram Weekly that as soon as he read Montasser's column, he decided that the book should not be taught or circulated at AUC and ordered that copies be withdrawn from students. "Not only did AUC respond positively," Shehab said, "but its president, Frank Vandiver, paid me a visit to convey the university's apologies for an unintentional, individual error as well as

assurances that AUC would never harbour the intention of directing insults at Islam."

A statement issued by AUC said: "With reference to Mr Salah Montasser's daily column on Wednesday, 13 May in Al-Ahram newspaper, the American Univers-

ity in Cairo has responded to official requests and acted to remove the book Mohammed by the French author Maxime Rodinson. The volume has been available in Egypt since its publication in the early 1970's." Shehab said that his decision was based on the fact that "it is the constitutional duty of the Ministry of Higher Education to supervise university education," be

it public or private. Shehab explained that all universities have the right to choose the curricula that are taught to students and the professors who teach them. And, he added, "it is up to the professor and his conscience to choose the books that he will use in teaching his course. It is very difficult to interfere with the thinking of professors".

On the other hand, Shehab said that if students are displeased with what they are being taught, then they have the right to complain to the university's management. "But this rarely happens," he added. Shehab said the AUC professor "obviously had no bad intentions. He certainly was not trying to force the students to embrace the ideas that are contained in the book." Shehab conceded that the book has been in circulation in Egypt for the past 15 years and taught at AUC for about seven years. "As far as the ministry is concerned, the whole matter is closed," he said. AUC sources said the university's library had four copies of the book, which have been withdrawn from circulation. It was on the reading list of a political-science course in the early 1970's and a history course in the early 1990's, the same course the book was being studied on in this semester. A source close to the professor said he invited his students to submit critical reviews of the book's content. "Students were required to criticise the book from whatever perspective they wished. The professor certainly did not praise the book and did not express a personal opinion. He even suggested other titles written by Muslim scholars so that the students might be exposed to ideas other than those the book advocates," the source said. According to the same AUC source, the professor has great respect for Islam and would defend it, whenever necessary. The source added that the professor had been involved, in his home country, in many battles defending Islam and Muslims against racism and media vilification of Islam. The professor has the support of many of his students. One of them, a Saudi Arabian, told the Weekly that the professor, while assigning the book to students, said that "it is not an Islamic book and may prove to be provocative and offending, so it will be easy for you to criticise. He provided us with the titles of Islamic references, so that we could build up a

good argument against the book." The professor told the students that "he did not care if they tore

Rodinson apart as long as they put forward a good argument," the Saudi student said. Another source, however, said that the problem began when a student complained about the book to a friend, who is an alumnus. The friend, along with 46 other alumni, wrote a petition to the dean of the school of humanities and social sciences, requesting that "corrective action" be taken. A copy of the petition was sent to Montasser.

Al-Ahram Weekly Issue No. 378 (1998)

Date: 21-27 May 1998

المصادر العربية

- القرآن الكريم .
كتب الأحاديث .
كتب العهدين القديم والجديد .
ابن الأثير ، الكامل في التاريخ . بيروت - دار صادر - ١٩٦٦ .
ابن الأثير ، النهاية . بيروت ، المعارف .
الإيجي ، عبد الرحمن بن أحمد . المواظف في علم الكلام ، القاهرة . مكتبة للتنقيح .
أبو حيان التوحيدي . المقابسات . تحقيق حسن السندوي . الكويت . دار سعاد الصباح . ١٩٩٢ .
ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد ، كتاب النبوات . المملكة العربية السعودية - مكتبة الرياض الحديثة، ١٣٤٦هـ .
الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر . البيان والتبيين . بيروت . دار الكتب العلمية .
الجرجاني ، علي بن محمد السيد الشريف ، كتاب التعريفات . تحقيق عبد المنعم الحفني . القاهرة . دار الرشد . ١٩٩١ .
ابن حني ، أبو الفتح عثمان . الخصائص . القاهرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن ، صفة الصفوة ، تحقيق طارق محمد عبد المنعم الاسكندرية ، دار ابن خلدون .
الخطاط ، أبو الحسين عبد الرحيم ، كتاب الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد ، مع مقدمة وتحقيق وتعليقات للدكتور نيرج . القاهرة - مكتبة الدار العربية للكتاب - ١٩٩٣ .
دراز ، محمد عبد الله . مختصر مدخل إلي القرآن الكريم : ترجمة محمد عبد العظيم علي . القاهرة دار الدعوة ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

- الذهبي ، شمس الدين . تاريخ الإسلام . مكتبة القدسي ١٣٦٧ .
- الزرقاني ، محمد عبد العظيم ، مناهل العرفان في علوم القرآن . القاهرة . دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٨٠ .
- السيوطي ، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ، الإتقان في علم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة . مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني . ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
- الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ، الملل والنحل ، بهامش الفصل لابن حزم القاهرة . مطبعة صبيح . ١٩٦٤ م .
- الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد ، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار . القاهرة - المكتبة التوفيقية . ١٩٦٤ .
- ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف . جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله ، قدم له الأستاذ عبد الكريم الخطيب . القاهرة . المكتبة الإسلامية ١٤٠٢ - ١٩٨٢ .
- ابن عطية ، عبد الحق . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . قطر . دار إحياء التراث . ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .
- الغزالي ، الإمام أبو حامد ، إحياء علوم الدين . بيروت . دار الكتب العلمية . ١٤١٢ هـ - ١٩١٢ م .
- ، تهافت الفلاسفة . تحقيق سليمان دنيا . القاهرة . دار المعارف . ١٣٩٢ - ١٩٧٢ .
- المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي . مروج الذهب . بيروت . المكتبة العصرية . ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، بيروت . دار صادر . ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .
- نورشيف عبد الرحيم رفعت . دراسات في مقارنة الأديان . القاهرة . المطبعة الإسلامية الحديثة ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ .
- ابن هشام . سيرة رسول الله . بيروت . دار الجليل .
- هونكة ، زيفريد ، شمس العرب تسطع على الغرب . نقله عن الألمانية فاروق بيضون

وكمال دسوق راجعه ووي. بيروت. دار الجيل ودار الآفاق الجديدة . ١٤١٣ -
١٩٩٣

* أهوليلة ، محمد محمد . مشكلة الجمود وقضية الاجتهاد ، القاهرة . ندوة
رابطة الجامعات الإسلامية - ١٩٩٩ .

----- ، " نصوص إسلامية في الفلسفة والأخلاق . ترجمة ودراسة " باللغة
الإنجليزية . القاهرة . الفلاح . تحت الطبع .

مادلين نصر . صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية . مركز
دراسات الوحدة الفرنسية . ١٩٩٥ .

المصادر الأجنبية

Abu Laylah , M. The status of Women From the Islamic Perspective with a
Critical study of the Draft Platform for Action for the fourth World Conference on
Women. Beijing, China, 1995 Cairo, al Matbaa al-Islamiyya al Hadiitha, 1416-
1996.

Daniel, Norman, Islam , Europe and Empire, Edinburgh 1966.

_____ Islam and the West , Oxford . Oneworld Publications 1997

Arnold T. W., The preaching of Islam , Pakistan, 1976.

Armstrong , Karen , A history of God . Ballantine Books, New York, 1991. ,

Attwater, Donald - A Dictionary of Saints, Great Britain. Penguin Books 1965.

Cross F. L .(ed.) The Oxford Dictionary Of The Christian Church . London.
Oxford university press 1961.

Djait , Hichem, Europe and Islam .. University of California Press 1985.

Gibbon , Edward, Decline and Fall of the Roman Empire, ed. by J.B Bury ,
London, 1909-1914.

Guillaume, Alfred, Islam. Great Britain, Pelican books 1976

-----, The Life of Muhammad, Atranslation of In Ishaqs Sirat Rasul Allah,
Oxford , Oxford university press , 1978.

Hughes Thomas Patrick, New Delhi, Cosmo publication, 1978

Humphreys, R.Stephen, Islamic History, London, I.B. Tauris and Co. Ltd.
1991.

Hunke, Sigrid, Allah's Sonne Uber Dem Abendland Unser Arabisches Erb.

Margoliouth, D. S. Mohammed and the Rise of Islam, New York ,Putnam ,
1906.

Merrill C. Tenney ,(General Editor) The Zondervan Pictorial Encyclopedia of

the Bible . U. S. A. The Zondervan Corporation , 1975.

. Rodinson , Maxime, Mohammed. England, Penguin Books, 1971.

_____ , Israel and the Arabs, England, Penguin Books, 1982.

_____ , Islam and Capitalism, England, Penguin Books, 1966.

Ruthven , Malise, Islam In The World , England, Penguin Books 1991.

Southern, S. W. Western Views of Islam in the middle ages, Cambridge, Harvard University press, 1962 .

Stoddard, Lothrop, The New World of Islam ,New York, Charles Scribners Sons . 1925.

Watt. W. Montgomery. Muhammad prophet and statesman, Oxford University press 1978.

_____ Muhammad at Medina ., Oxford,Clarendon Press, 1956.

_____ Muhammad at Mecca, Oxford , Clarendon Press , 1953.

_____ The Majesty that was Islam , London , Sidgwick and Jackson, 1976.